ذكر ولاية حسام الدين

قيل لما مات شمس الدولة استبد ختلج شاه بميافارقين والوزير عبد الملك ، فوصل حسام الدين وحضر بباب المدينة ، ونزل في خيم ظاهر البلد ، وراسل ختلج شاه ، وكان الأمير داود بن سكمان ، صاحب حصن كيفا(٢٩) ، هم بالخروج ، فسبق السعيد حسام الدين، وراسل ختلج شاه ، وحلف له على الذي اراد ، وحلف ان لا يغير على اهل البلد شيئا ، وأن يستوزر الوزير عبد الملك ، فحلف على ما اقترحوا ودخل في شوال سنة ثمان عشر وخمسمائة ، واستوزر عبد الملك ، واستقرحاله ، وحصل له جميع ما كان لأبيه نجم الدين ، واحسن الى الناس ، واحبوه ، واستبد بالملك ، وتزوج بزوجة اخيه الأمير اياس بن نجم الدين ، وكان له منها الأميرشهاب الدين محمد بن اياس ، وأولد منها بنتا هي صفية خاتون ، وهي أول أولاده ، وبقي مدة ، وتزوج بالخاتون بنت الأمير غازي من أرزن الروم ، ووصلت الى ميافارقين ، وأولد منها الصاحب نجم الدين البي في سنة عشرين وخمسمائة ، ثم أولد الأمير جمال الدين سرتي في سنة احدى وعشرين وخمسمائة ، وملك حسام الدين البلاد ، ثم أولد هدية خاتون ، ثم أولد الأمير صمصام الدين بهرام في سنة ....وخمسمائة

وملك حسام الدين حلب وبقيت معه مدة ثم أنه عاوضها ..(٣٠)..وسلم حلب وخرجت عن يده .

قيل وخرج السلطان محمود الى العراق ، وأراد الدخول فمنعه الخليفة المسترشد وجرى بينهما قتالا كثيرا ، وكسر المسترشد ونهب ما كان معه ، ودخل العراق بغير اننه ، وبقي مدة واصطلحا جيدا .

قيل وفي سنة تسع عشرة وفي أول سنة عشرين وخمسمائة قتل البرسقي بجامع الموصل ، قتله الباطنية ، وولي ولده مسعود البلاد من ديار ربيعة وغيرها ، واجتمع بهاء الدين القاضي الشهرزوري ، ونصير الدين جقر وصلاح الدين اليغيساني وحصلوا خزانة وخدمة (٣١) ، ونزلوا الى بغداد ليخدم السلطان محمود ويقر الأمير مسعود ولد البرسقي في البلاد ، ولما وصلوا ارتأوا وقالوا : إن هذا صبي ، ولا يقوم بالملك ، وربما لا يدبر البلاد ويكون الحيف علينا ، فاقتضى رأيهم أن هم اجتمعوا بقسيم الدولة زنكي بن آق سنقر ، وكان شحنة بغداد في تلك المرة وقرروا معه ما أرادوا من مصالحهم ، واستحلفوه ان يكون لشهاب الدين قضاء الموصل وجميع البلاد وما فيها من القضاء والأمور الدينية له ، فحلف ان تكون الحجابة وامارة العسكر لصلاح الدين ، وأن تكون ولاية الموصل وجميع البلاد الى نصير الدين يولي فيها من يراه ، فحلف لهم على ذلك ، وتقرر الأمر اليهم بينهم

ثم انهم خدموا السلطان واصحابه والخليفة وأصحابه بالمال الذي وصل معهم ، وطلبوا زنكي ، فسلم اليه السلطان ابنيه ألب ارسلان والخفاجي وحصل أتابكهما ودفع له (٣٢)بالبلاد ، وسار الى الموصل ، وملك الموصل والبلاد أول سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة .

قيل وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قتل ذور الدولة بلك على منبج بالشام ، وكان محاصرا لها ، فجاءه سهم فذبحه ، وملك بلاده : خرتبرت وكالوا ومنازكرد (٣٣)وما حولها الأمير داود ، وكان الأمير بلك قد اخذ هذه الولاية من بلاد جبق ، ومات ولم يعقب غير بنت ، تزوجها فخر الدين قراأرسلان بن داود .

قيل وفي سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة مات أتابك طغتكين بدمشق ، وولي ولده تاج الملوك بوري دمشق وما حولها .

قيل وفي خامس شوال سنة اربع وعشرين وخمسمائة مات السلطان محمود صاحب أصفهان ، ودفن بها ، وولي السلطان اخوه طغريل السلطنة مدة سنتين ثم مات في أوائل سبع وعشرين وخمسمائة وفيها قتل الوزير المزدغاني وبهرام والباطنية أجمع بدمشق .(٣٤)

وولي أخوه السلطان مسعود السلطنة ، قيل وكان خلاف السلطان محمد أولاد جماعة منهم السلطان محمود ، ولي الأمر وحده طغريل ، وسلطان سليمان شاه ومسعود ، وسلجوق شاه ، وبهرام شاه .

قيل وخلاف السلطان محمود السلطان داود ، وكان أكبر أولاده وملك أذربيجان وقتل في تبريز (٣٥)في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، قتله الباطنية في وسط السوق ، ودفن بتبريز .

وخلاف محمد شاه وملك السلطنة من عمه مسعود وتزوج ابنته ، وخلاف ملكشاه وكان في حياة عمه مسعود معه في العسكر ، وملك خوزستان ، وخلاف ألب ارسلان والخفاجي مع أتابك زنكي بالموصل ، وقتلا بالموصل ، وخلاف بنتا من بنت السلطان سنجر كوهار ، وعاشت الى ما يقارب سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وأما سليمان شاه فمات ولم يعقب ، واما سلجوق فله ابن هو الآن بالموصل ، كان عند مسعود بطال بقلعة تكريت ، فلما أخذت نقلوه الى الموصل ، وهو الآن بها ، وله أولاد .

وأما السلطان طغريل فإنه خلاف أرسلان شاه ، أمه زوجة الأمير الدكز ، وهو الآن السلطان من اصفهان وهمذان وأذربيجان وأران ، الى مدينة جنزى وسملكوا .

وفي سنة اربع وعشرين وخمسمائة كسر حسام الدين وداود على سرجه تحت دارا ، كسرهم أتابك زنكي (٣٦) .

قيل وفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة ماتت سعيدة خاتون بنت قلج ارسلان بميافارقين ، ودفنت في القبة عند أبيها ، وكانت أمها زوجة الأمير ركن الدولة داود ، وبعد أيام حضر اخوها السلطان طغريل من حصن كيفا - وكان صهر ركن الدولة داود على ابنته - الى ميافارقين ، وأقام بالقبة ، وأخذ دخلها جميعه .

قيل وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة مات الآمر بأحكام الله خليفة مصر ، ولم يخلف ولدا ، وخلف امرأة حاملا .

قيل وفي هذه السنة نفذ السلطان سنجر الى زنكي أمره باطلاق دبيس فأطلقه ، فقصد السلطان مسعود .

وفي سنة ست وعشرين وخمسمائة غرقت مراكب الأخلاطية بالبحر بالقسطنطينية فقضى فيها جماعة من الأخلاطية .

وفيها مات نور الدولة صاحب فنك (٣٧) ، وولي ولده ابو نصر .

وفيها تسلم الأمير داود قلعة قطلبس وباناسا (٣٨) .

قيل واختلف اهل مصر وماجوا وقالوا : هذا البيت لا يموت الامام منهم الا وقد خلف ولدا ذكرا منصوصا عليه بالامامة ، وهذا لم يخلف ولدا ولا نص الا حملا ، وكان قبل موته نص على الحمل فقالوا يجوز النص على الحمل ، ويمكن أن يولد ذكرا فبقوا ينتظرون الحمل الى أن وضع ، فوضعت بنتا ، فاختلف الناس ، وماجوا واخرجوا رجلا من القصر من أولاد المستنصر اسمه عبد المجيد ، ويكنى بأبي الميمون ، ويلقب بالحافظ لدين الله ، في آخر سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وقيل هو عبد المجيد ابن المستنصر ، وقيل هو عبد المجيد بن ابي القاسم المستعلي بن المستنصر ، وقيل لم يلدغير المستعلي للمستنصر، فولي الخلافة وأجمعوا عليه .

واذقطع النص من قبل المستعلي وأولاده ، وهو قول الاسماعيلية ، وان النص في ايامهم متصل من المستنصر الى نزار الى الآن ، وهو مذهبهم ، (٣٩) وليس أحدا منهم على الصحيح .

وبقي الحافظ في الخلافة واستقر منصب ملكه ، وليس خلافة الا في بني العباس لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حق العباس :« أنت أبو الأملاك من أمتي الى يوم القيامة »(٤٠) وأهل مصر والاسماعيلية على الباطل ، وانما أهل الأغراض والأهواء يقولون ذلك ، ولاامام ولاخليفة الا ببغداد من آل العباس .

قيل وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة ملك الأمير داود : أسعرد (٤١)، وباهمرد (٤٢)، وباناسا .

وفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة لقي أتابك زنكي حسام الدين والأمير داود ، وكسروا على سرجه (٤٣) وانتحوا الى دارا ، وسار زنكي الى الشام وملك حماة وماحولها ، وحمص وقصد دمشق ، وأخذ دبيس من دمشق وعاد الى الموصل ومعه دبيس مقيدا ،

قيل وفي سنة ست وعشرين وخمسمائة قصد الخليفة المسترشد ، في شهر رمضان ، الموصل ، ونزل عليها وحاصرها مدة ، وكان بها نصير الدين جقر واليا ،

فقاتلهم الخليفة ، وكان حصنها وحفر الخندق ، وضيق عليها الخليفة ولم ينل منها مقصودا وعاد الى بغداد ، ودخلها في تاسع عشرين ذي القعدة .

قيل وفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة مات الوزير عبد الملك

بميافارقين وولي نظر الديوان الناصح على بن أحمد الآمدي ، وكان متوليا بآمد ، فقبضه مؤيد الدين ابن نيسان وصادره بثلاثين الف دينار ، وولي موضعه ، ووصل الى ميافارقين ، فضمن ولده أبو نصر السمرة ، وأعطى الناصح الوقف الى أن مات الوزير تولى نظر الديوان .

قيل وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وصل المؤيد أبو الحسن ابن مخطر الى ميافارقين من الجزيرة ، فبادره الوزير عبد الملك وعاقبه وأخذ منه مالا كثيرا ، وانتقل الى الجزيرة ، فلما مات الوزير عبد الملك عاد الى ميافارقين الى الاستيفاء مع الناصح .

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وصل شرف الدين جيش ابي طالب بن جيش من أهل العراق الى خدمة السعيد حسام الدين ، وأقام عنده على أحسن سبيل الضيافة ، وكان في خدمة صلاح الدين محمد اليغيساني بحماه الى ان قبضه وعاقبه وشد معه كلبا في غرارة، وكان يضرب الكلب وينهش بدنه .

وفي هذه السنة وصل الى ماردين المكين أبو البركات بن أبي الفهم الحراني منهزما من بني عمه من حران ، وأقام عند السعيد حسام الدين على سبيل الضيافة .

وقيل خرج في شعبان سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وقيل في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة خرج الخليفة المسترشد من بغداد ولقي السلطان مسعود بباب همذان الى موضع يسمى داي فنزل قريب من جبل بهستون ، ونهب العسكر ، وكان جمع السلطان خلقا عظيما ، ومعه صاحب خرتبرت ، بجيشه وعسكره ، وكان نفذ له عمه السلطان عسكرا عظيما فالتقوا ، فكسر الخليفة وأسروه وأسروا أرباب المناصب كلها ، ولقد سألت السعيد مؤيد الدين أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم الأنباري ، رحمه الله في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببغداد حين نزلت اليه في هذه السنة عن حال

المسترشد والوقعة وماجرى فقال رضي الله عنه : كان قد وقع بين السلطان والخليفة في أيام السلطان محمود وخرج وكسره مرتين ، فلما ولي مسعود استطال نوابه على العراق وعارضوا الخليفة في أملاكه فوقعت الوحشة ، وتجهز المسترشد وعزم على الخروج واتفق ان بعض الأيام دخل الوزير شرف الدين الزينبي علي ابن طراد على الخليفة وأنا معه ، وكمال الدين طلحة صاحب المخزن ، وكان الخليفة قد طرد أصحاب السلطان عن العراق ، ورتب صاحب المخزن على دار السلطان المظالم والبلد ، فلما دخلنا ذلك اليوم ، فقال له الوزير شرف الدين : يامولانا في نفس المملوك شيء فهل يؤذن في المقال ؟ فقال : قل ، قال : يامولانا الى اين تمضي وبمن تعتضد ، والى من تلتجيء ، وبمن تنتصر ، ومقامنا ببغداد امكن لنا ، ولايقصدنا أحد الا وفينا نحن الظهر ، والعراق ففيه لنا الكفاية ، فان الحسين بن علي عليه السلام لما خرج الى العراق جرى عليه ماجرى ، ولو أقام بمكة مااختلف عليه أحد من الناس ، فقال له الخليفة : ماتقول ياكاتب ؟ فقلت يامولانا الصواب المقام ومارآه الوزير فهو الرأي فلا يقدر علينا أحد ، وليت بقي علينا العراق ، فقال لصاحب المخزن : ياوكيل ماتقول ؟ فقال : في نفسي مافي نفس مولانا ، وكان هو قد حمله على الخروج ، قال المسترشد :

واذا لم يكن من الموت بد
فمن الغبن ان تموت جبانا

ثم استعد وجمع ، وكان قد حصل في خدمته جماعة من أمراء الأتراك وبطائنهم ومالا عظيما ، ثم خرج وخرجنا ، فلما قاربنا همذان خرج السلطان مسعود فالتقوا في موضع يسمى داي قريب من جبل بهستون ، قريب من همذان ، فلما اصطفت العساكر وهموا بالقتال ، ففر من معسكرنا جميع الأمراء والأتراك الى جانب السلطان ، فانهزم الخليفة ومن بقي معه ، ونهب العسكر وقبض

الخليفة وأرباب المناصب ، وحمل الوزير وصاحب المخزن وأنا ونقيب العلويين الى قلعة سرجهان بالقرب من مدينة الري ، ولقد رأيتها في سنة تسع وأربعين وخمسمائة لما سافرت الى الري ، ورأيتها وهي تلوح على رأس جبل عال .

وأخذ السلطان المسترشد معه ، وطاف به في أذربيجان الى أن وصل به الى مراغه ، فنزل هناك فدخل عليه ثلاثة نفر من الملا حدة (٤٦) فقتلوه ، فرضي الله عنه ، وقتل معه رجل يصلي به يسمى ابن سكينة ، يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وسبعة شهور ، وكان ولى عهده ولده أبا جعفر المنصور الراشد بالله ، وكان تخلف ببغداد ، فلما وصل الخبر الى بغداد بقتله بايعوا الراشد بالخلافة ، وقيل ان السلطان سنجر نفذ اليه من قتله ، وقيل ان السلطان مسعود نفذ استأذن عمه سنجر فأذن له في قتله فرتب له ذلك فدخلوا عليه فقتلوه ، ودفن في مدينة المراغة (٤٧) ، وكان مع السلطان في معسكره دبيس بن صدقة بن مزيد .

ورحل السلطان بعد مدة الى باب تبريز ، وركب بعض الأيام ونزل ودخل اليه سيف الدولة دبيس فضرب عنقه ، وبقي السلطان أياما وتزوج بنت دبيس ، وكانت أمها شرف خاتون بنت عميد الملك ابن جهير من زبيدة بنت نظام الملك ، وحمل دبيس الى ماردين الى زوجته كهارخاتون ، فدفن بالمشهد عند نجم الدين الغازي رحمها الله .

وكان قد قيل ان دبيس حمل السلطان على قتل المسترشد ، قال مؤيد الدين : لما قتل المسترشد جاء السلطان مسعود ، ونفذ احضرنا عنده ، فحضر الوزير شرف الدين وجمال الدين صاحب المخزن وأنا ، وكان نقيب العلويين قدمات بقلعة سرجهان ودفن هناك ، فلما حضرنا عنده قال : ما الرأي وما التدبير في أمر

الخلافة ، من ترون ؟ فقال الوزير : يا مولانا الخلافة لولي العهد ، وقد بايعه الناس وجلس واستقر ، وقد بويع له بولاية العهد ، والآن بعد قتل ابيه ، فقال : ماالى هذا سبيل أبدا ولاأقره عليها فانه يحدث نفسه بالخروج مثل أبيه ، ونحن كل يوم من حيث ولي المسترشد لم يزل يخرج علينا ، وكان خرج على أخي محمود مرتين ، وعلي مرة ، وهذه أخرى ، ثم تم عليه ماتم وبقيت علينا شناعة عظيمة وسبة الى آخر الدهر ، ويقولون : قتلوا الخليفة وهم كانوا السبب في عود الخلافة الى هذا البيت ، ولاأريد يجلس الا من لايداخل نفسه في غير أمور الدين ولايجند ولايجمع ولايخرج علي وعلى اهل بيتي ، وفي الدار جماعة ، فاعتمدوا على شيخ منهم صاحب عقل ورأي وتدبير ويلزم نفسه مايجب من طاعتنا ، ولايخرج من داره ولاتعرجوا عن هرون بن المهتدي ، فهو شيخ كبير ، ولايرى الفتنة ، وقد أشار به عمي سنجر .

وكان في الدار في ذلك الوقت سبعة أخوة من أولاد المقتدي ، ولهم أولاد وأولاد أولاد ، وبقي من السبعة الى سنة نيف وخمسين وخمسمائة ، وكان في الدار من أولاد المستظهر سبعة أخوة منهم : الأمير أبو عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو نصر ، وأبو القاسم ، وأبو علي ، واسماعيل ويحيى ، ولهم أولاد جماعة ، وكان للمسترشد أولاد جماعة ، وللراشد ، وله مقدار نيف وعشرين ولدا ، أكبرهم أمير الجيش ، وكان ولد لأبيه ، وهو ابن تسع سنين ، ولم ير مثل هذا قط .

ولقد حدثني بعض من أثق اليه ببغداد ممن كان يدخل الى دار الخلافة ويطلع عليهم ان المسترشد اشترى للراشد لما كان عمره سبع سنين خمس جواري ، وأمرهم ان يلاعبنه ويمكنوه من انفسهن ويحملونه على ذلك ، فكانوا معه على ذلك الى أن صار عمره تسع سنين بلغ مبلغ الرجال ، وكان فيهم جارية صفراء حبشية فواقعها ذات يوم فحملت منه ، فبلغ المسترشد ذلك فأذكره وأحضرها وهددها، فقالت : والله ماتقدم إلي سواه وانه بالغ مثل

جميع الرجال ، فسأل باقي الجواري ، فقالوا مثل ذلك ، فأمر أن تحمل الجارية قطنا ثم وطئها ، فما قام عنها أخرجت القطن والمني عليه ، وكذلك فعل بباقي الجواري ، فخرج المني ، ففرح المسترشد ، فلما تم حملها وضعت ابنا فسماه المسترشد أمير الجيش وسربه سرورا شديدا ، وهذا لم يسمع بمثله إلا بالحجاز ، ويقال إن نساء تهامة يحضن تسع ويبلغ صبيانهم تسع ، وأقرب ما رؤي بين أب وابنه ما رؤي بين عمر و بن العاص وبين ابنه عبد الله ، وكان ولد له وعمره اثنتا عشرة سنة ، ولم ير مثله إلا ما ذكرناه من امر الراشد ، وكان الراشد على طريقة أبيه .

وكان بايعه الناس في آخر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكان شهما من الرجال شريف النفس ذا رأي وهمة ، فلهذا انحرف السلطان عن توليتة الخلافة .

قيل وفي ذي الحجة سنة سبع وعشرين وخمسمائة قتل السلطان مسعود صدقة بن دبيس بين يديه صبرا ، فأظنه وهما لأن الذي قتله كان قراجامذكورس .

قيل ونفذ السلطان مسعود الى عمه سنجر يأخذ اذنه فيمن يولي ، فنفذ اليه يقول : لاتولي الا من يضمنه الوزير وصاحب المخزن وابن الانباري ، فاجتمع السلطان بهم وشاورهم ، واشار بهرون ، وعرفهم ما امرهم السلطان سنجر ، فقال الوزير اذا كان هذا الامر يلزمنا فنحن نولي من نراه وهو الزاهد ، العابد الدين ، الذي ليس في الدار مثله ، قال السلطان : من هو ؟ قال : الامير ابو عبد الله بن المستظهر ، فقال : وتضمنون ما يجري منه؟ فقال الوزير : نعم ، وكان الأمير ابو عبد الله صهر الوزير شرف الدين على ابنته ، فانها دخلت ذات يوم في الدار في زمن المستظهر فرآها الأمير ابو عبد الله ، فطلبها من ابيه فزوجه اياها ، وكان شرف الدين إذ ذاك نقيب النقباء ، ودخل بها وبقيت عنده مدة وماتت عنده .

فقال السلطان ذاك اليكم واكتموا الحال لئلا ينمو الأمر فيقتل المقتفي ببغداد ، ثم رحل السلطان والجماعة الي بغداد والوزير ونحن اجمع في صحبته .

قيل وكان الراشد بعد قتل ابيه قد بايعه الناس ، فاستبد واستقر ، ونفذ الى اتابك زنكي الى الموصل ، واستدعاه وضمن له ان تكون السلطنة في الملك الب رسلان بن محمود الذي عند اتابك ، وتكون الاتابكية والخلافة بحكمه ، فنزل اتابك الى بغداد ونزل بالجانب الشرقي في احدى دور السلطنة ، وبقي الى أن وصله ان السلطان قد طلب بغداد فخيم في الجانب الغربي ، ولما قرب السلطان من بغداد قريبا من النهروان حقق الراشد الحال وانه لا بد من تولية غيره ، فجمع الأمراء بأسرهم الذين كانوا في الدار من بين الخلفاء في سرداب ، وتقدم بأن يطبق السرداب ، ولقد حدثني زين الدولة ابو القاسم علي بن الصاحب ، وكان هو حاجب الباب هو وابوه وجده وكان بين يدي الراشد ، قال : لما جمع الراشد الأمراء في السرداب استدعاني وقال : يا علي خذ هذا السيف ، وكان بيده سيفا ، واقتل الجميع حتى لا يبقى من يصلح للخلافة ، فإن هؤلاء ربما دخلوا وغيروا وولوا غيري ، ثم أمر بفتح السرداب ، فالصائح جاءه فقال : ان اتابك زنكي نهب الحريم الطاهري ، وطلب الموصل في ذي العقدة .

وأما السلطان فوصل وعبر النهروان ، ولما حقق اتابك نزول السلطان بالنهروان انهزم ، فرمى السيف من يده ، ودخل الى الدار وأخذ معه من الجواهر ، ما لا يعرف له قيمة ، واعطاني مثل ذلك ، وخرج وأخرج معه قاضي القضاة الزينبي ، وكان قد استوزر رجاء الدين ابو الرضا صدقة ، فخرج وخرجنا ، ولحق اتابك زنكي على طريق الموصل .

قال السعيد مؤيد الدين رحمه الله : فلما كان بكرة ذلك اليوم دخل السلطان بغداد ودخلنا معه ، فنزل في داره ونزلنا نحن في

دورنا ، وكان دخـــولنا عاشر ذي القعـــدة ســـنة ثـــلاثين وخمسمائة ، فلما كان من الغد مضى الوزير الى دار السلطنة ونحن معه ، واستأذنه فيما يفعل ، فأخذ خطه وخطوطنا بـالضمان ، ثـم عدنا الى دورنا، وأصبحنا يوم الاثنين سابع عشر ذي القعـدة سـنة ثلاثين وخمسمائة ، وحضرنا عند الأمير ابـو عبـد الله ، وتحـدث الوزير معه ، وتحدثنا معه ، وشرط عليه القيام بأمر الخلافة وطاعة السلطان ، وأعلمناه أننا قد ضمنا ذلك من السلطان جميع ما اقترحه عليك ، فرضي بذلك ، وانفصلنا عنه ومضينا الى السلطان واعلمناه ما جرى وانه رضي بما شرطت عليه ، فقال السلطان : إذا كان مـن الغد فبايعوه ، فلما اصبحنا صعدنا الى الدار ، واخرجنا من الدار اشياء من الآلات التي تصلح للغناء واشياء لا تليق ، فشهد جمـاعة من اهل الدار انه شرب الخمر ، فأفتى العلماء بخلعه ، واعتنق ذلك القاضي عماد الدين شرف القضاة ابو طـاهر احمـد بـن الكرجـي المحتسب ، وكان قاضي أصحاب الشـافعي رحمـه الله ، واجتمـع العلماء والاكابر فخلعوه .

ودخل اليه الوزير وصاحب المخزن وأنا وتحدثنا ، وناولتـه رقعـة فيها ما يسمى به من اللقـــب ، وكان فيهـــا : المقتفـــي لأمـــر الله ، والمستضيء بأمر الله ، والمستنجد بـالله ، فقـال : ذلك اليكم فقال الخليفة ما تـرى ؟ فقلت : المقتفـــي لأمـــر الله ، فقـــال : مبارك ، ثم مد يده فأخذها الوزير وقبلها ، وقال : بـايعت سـيدنا ومولانا المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين على كتاب الله وسنة رسـول الله واجتهاده ، ثم أخذها صاحب المخزن وقبلها وبـايعه على مثـل ذلك ، ثم أخذت يده وقلت بعد أن قبلتها : بـايعت سـيدنا ومـولانا الامام المقتفي لأمر الله امير المؤمنين على ما بايعت عليه اباه واخاه وابن اخيه في ولاية عهده ، وكنت بايعت الامام المسـتظهر بـالله لما خدمته في وكاله الدار سـنة وتســعين وبقيت الى ســنة ســبع وخمسمائة ، ثم وليت ديوان الانشاء وبايعت المسترشد والراشد .

ثم قمنا من عنده ودخـل الى الدار ، ودخـل العلمـاء فـالفقهاء

والقضاة وأكابر الناس أجمع فبايعوه ، وحضر السلطان مسعود بعد ثلاثة أيام وبايعه وبايعه جميع اصحابه من اخواجا والأمير حاجب وجميع ارباب دولته ، واستبد له الأمر واستقر في الخلافة .

قيل وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة مات نجم الدولة بن مالك بالقلعة وولي بلد ، وفيها أخذ اتابك زنكي الرقة من مسيب بن مالك .

وكان وزراء المسترشد في أيامه جماعة منهم : أمين الدين اخواجا احمد بن نظام الملك مرتين ، وشرف الدين أنو شروان مرتين ، وجلال الدين ابو علي بن صدقة الى ان مات ، ووزر له شرف الدين الزينبي الى ان قتل واسر معه على ما ذكرناه

واما ما كان من الراشد فإنه خرج مع اتابك زنكي في صفر سنة احدى وثلاثين وخمسمائة الى الموصل ومعه قاضي القضاة الزينبي ، وجلال الدين ابو الرضا بن صدقة ، ابن اخ الوزير ابي علي ، وبقي عنده مدة ، فوصل معه الى باب نصيبين واقام اياما ، ثم انفصل عنه ومضى الى السلطان مسعود ليدخل عليه ، ويمضي الى السلطان سنجر ، وقيل قصد السلطان داود ودخل عليه حتى يرده الى الخلافة ، فلما قارب أصبهان خرج عليه قوم من الملاحدة ، ودخلوا عليه فقتلوه في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وحمل الى أصفهان فدفن بها في مدينة شهرستان من اصفهان على فرسخ ، ويقال انها من ابنية ذي القرنين على ما يعرف بزندورد (٤٨) على القنطرة .

وكانت خلافته من حيث بويع له بعد قتل أبيه الى أن بويع المقتفي احد عشر شهرا زائدا فناقصا ، وقيل إن السلطان نفذ من دخل عليه وقتله ، وخلف له في الدار نيفا وعشرين ولدا منهم الكبير امير الجيش ، ويقال إنه ولاه العهد قبل خروجه من بغداد .

وأما قاضي القضاة الزينبي رحمه الله فإنه عاد ونزل الى بغداد وعاد الى منصبه ، وأما جلال الدين ابو الرضا بن صدقة فإنه وزر لأتابك زنكي مدة وعزل وعاد الى بغداد ، وكان وزر لأتابك بعد موت ضياء الدين ابي سعيد الكفرتوثي .

واستقر المقتفي في الخلافة وتوطد أمره .

قيل وفي سنة اثنتين وثلاثين حاصر السلطان سلجوق شاه خلاط مدة ورحل عنها .

وفي سنة ثلاث وثلاثين خطب الأمير داود للمقتفي الجمعة ثالث عشرين المحرم .

وفي سنة ثلاث وثلاثين أسر السناسنة (٤٩) صاحب خلاط ، وأطلق بسفارة حسام الدين في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين .

قيل وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة مات الملك طغريل بباب دمشق وحمل الى العراق .

قيل وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة سافرت من ميافارقين الى ماردين ، ولم اكن قبل ذلك خرجت من ميافارقين ، وبقيت بها مدة ، ووصل تابوت دبيس وانا بماردين ودفن بالمشهد .

وهذه السنة ماتت فيها زوجة الأمير شهاب الدين محمد بن الياس ، وكانت زوجة الأمير حسام الدين ولدت منه صفية خاتون ، وكنت بماردين هذه السنة وتزوج السعيد حسام الدين بالملكة جوهر خاتون بنت الملك رضوان ، وكانت وصلت تلك السنة من حلب ، وكانت زوجة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق ، فمات بماردين ، ووصلت من حلب ومعها ولد اسمه كبك ، ويلقب مجد الملوك ، فبقيت مدة وتزوجها السعيد حسام

الدين ، وكان وصل هذه السنة تاج الدين ابو سالم بن نباتة رضي الله عنه الى ماردين .

قيل وكان في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة نازل اتابك زنكي وحسام الدين قلعة الصور ،(٥٠) فأخذها حادي، وعشرين رجب وسلمها الى السعيد حسام الدين وقتل حمدان بن اسلم وكان اميرا مقدما من اصحاب الأمير داود ، وكانت الصور للأمير داود ، وفيها وصل اتابك زنكي الى تل شيخ(٥١) واجتمع بحسام الدين ولقوا داود بباب آمد ، وكسروه ودخل الى الصور واخذها ، وفيها ملك اتابك زنكي طنزه (٥٢) ونزل تل شيخ ، ووزر ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتوثي لاتابك زنكي وحصل في خدمته .

وفي تلك السنة مات شمس الدولة الأحدب ، وقيل وفي سنة ثلاثين امر حسام الدين بنقض الربض والمحدثة فنقضا ، وكان قد وقع الخلف بين السعيد حسام الدين والأمير داود (واجتمع) (٥٣)وأتابك مع الأمير حسام الدين فكسروا الامير داود على باب آمد وساروا فملكوا جبل جور وبالقرنين والسيوان (٥٤) ، واخذت من الامير أرسلان بن عبد الجبار بن أرتق وسلمها أتابك الى السعيد حسام الدين ، وانهزم الأمير ارسلان الى خدمة الأمير داود .

قيل وفي سنة ثمان وعشرين نهب الأمير داود ربض طنزة وسبى من كان فيه ونهب اموالهم وهتك النساء بحيث لو غزته الأفرنج ما فعلت أكثر من ذلك .

وفي سنة ثمان وعشرين ملك السعيد حسام الدين الهتاخ على ما ذكرناه(٥٥) ، وأخذها من الأمير شمس الدولة عيسى بن احمد بن نظام الدين بن مروان .

قيل وفي سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ملك السعيد حسام الدين

الى ميافارقين ومعه حبشي بن حبشي ، وعمل حساب العمال والمتصرفين ، وصادر اهلها وقلعهم واجحف بأهلها ، ولقي الناس منه شدة لا توصف من الشتم والجور والظلم ، وسلك بهم اصعب الطرق من الحيف والقهر ، وقبض الناصح الآمدي ، وكان متوليا بديوان ميافارقين وقبض ابنه ابا نصر ، وكان المؤيد بن مخطر متوليا فانهزم من يدي حبشي ، ومضى الى الجزيرة، وقبض اخاه ابا سعيد ، وأخرج العميد ابا طاهر بن المحتسب من الحبس ، وكان له مدة محبوسا ، وأطلقه وولاه . ولقي الناس منه شدة ومشقة لا توصف ، ومررت تلك السنة بالجزيرة وأقمت بها مدة ، وعدت الى ميافارقين واجتزت بنصيبين ، ورأيت اتابك زنكي بقرب نصيبين .

قيل وفي سنة تسع وعشرين مات نجم الدولة مالك بن مالك بالقلعة (وأخذ أتابك زنكي الرقة من الأمير مسيب ، وسار الى دمشق وحاصرها مدة ، ثم رحل عنها)(٥٦) وفي القلعة ولده بدران بعده ، وبقي الى ان دخلت سنة ثلاثين ، وقتله اخوه الامير علي بن مالك وولي القلعة

قيل وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ظهر عبد المؤمن بالمغرب ، وأنا أذكر من حاله ماوصل إليّ من أمره ، وهو أن محمد ابن تومرت كان من المصامدة ، وخرج الى بلاد المشرق ، وهو شيخ عبد المؤمن بن علي الكومي من جبال السوس الأقصى بالمغرب ، وكان محمد بن تومرت الادريسي الحسني خرج الى المشرق ، وبقي مدة ، ثم عاد الى المغرب في سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وأقام بمراكش واجتمع اليه جماعة من الفقهاء وناظرهم وجرى بينهم أشياء غير ماجرت به عادة المغاربة ، وخارجا عن طريقهم وأنكر عليهم وأنكروا عليه ، ثم انهم اجتمعوا الى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وقالوا له يخرج هو من بيننا والا أفسد الناس وأهلكهم ، فتقدم اليه بالخروج ، فخرج في سنة عشرين وخمسمائة ، ونفاه الى الجبل الى المصامدة ، وهم جنس من البربر ، وكانوا عشيرته فأقام بينهم وحملهم على ترك طاعة أمير المسلمين ، فخرج اليه أمير

المسلمين ، فلقيه فكسره وقتل رأس العسكر عبد الله بن ماوية ، فخرج امير المسلمين بنفسه وجمع الجموع فلقيه وكسره وتمكن في الجبل وهو يناوشه شهر في شهر ، وهو بجبل درن (٥٧) بولاية مراكش والسوس ، واجتمع اليه خلق عظيم ، وبقي الى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، ومات محمد بن تومرت وولي موضعه علي الورنشي (٥٨) وجهز العساكر وحاصر مراكش في سنة أربعة وعشرين وخمسمائة ، فكسره امير المسلمين وأزاحه من مراكش ، فانهزم الى الجبل وتحصن به ، وبقي الأمر بينه وبين أمير المسلمين يزيد وينقص الى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، ومات علي الورنشي وولي موضعه عبد المؤمن بن علي الكومي ، وكان من جملة اصحاب محمد بن تومرت وتلاميذه وأصحابه ومعاضديه ، فجمع ولقي امير المسلمين وكسره وملك الجبل بأسره ، وملك ولاية أخرى .

وترك في سنة ثلاثين وخمسمائة الجبل وفتح أكثر بلاد أمير المسلمين ودانت له البقاع ، وفتح أكثر افريقية وبلادا من الاندلس ، وفتح أكثر بلاد أمير المسلمين وفتح من الفرنج مواضع كثيرة ، وبقي الى سنة أربعين وخمسمائة ، ولقي امير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف فكسره وقتل خلقا كثيرا ، وأسره وقتله وتوطدت له البلاد ، وفتح أكثر المغرب وهابه الناس ، وفتح أكثر المدن ، وكان لايفتح مدينة الا قتل كل من فيها ، وكان يقول : أنا صاحب الزمان ، وملك في سنة اثنتين وأربعين مدينة تونس ، وهي من أعظم مدن المغرب ، وقد ذكرت في كتاب المسالك والممالك أن دور سورها واحد وعشرين ميلا .

وفي سنة احدى وثلاثين ، في رابع ذي القعدة تسلم الأمير داود حاني من الأمير ساروخ ، وأعطاه اقطاعا وأقام في ربض حاني الى أن مات ، ودفن في حاني .

قيل وفي سنة احدى وأربعين وخمسمائة ملك عبد المؤمن بن علي

ولاية بني حماد وأجلاهم عنها ، وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فتح المهدية وملكها ولم يبق له منازع ولا من يساويه ولا من يقاومه ، وبنى مدينتين عظيمتين احداهما مرسى وسماها المهدية والأخرى بريني (٥٩) ، واستقر في ملكه وبقي يفتح من بلاد الأفرنج طرفا طرفا الى أن مات في سنة اربعين وخمسمائة ، وبقي اولاده من بعده في الملك ، ويقال انه خلف نيفا واربعين ولدا ذكورا .

قيل وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة خرج ملك الروم من القسطنطينية الى الشام ، وملك بزاعة (٦٠) ، فانه حمل أهلها بأسرهم ، وسبى كل من فيها ، ونهب ماكان بها ، وحط على حلب وحاصرها ، ولقيه أتابك زنكي ، وبقي في وجهه ، وسارت اليه عساكر ديار بكر وديار ربيعة أجمع ، ونفذ الأمير داود ولده معه عساكر التركمان ، فرحل من حلب وعاد الى بلاده .

وفي هذه السنة مات بهاء الدين أبو الحسن بن علي بن الشهرزوري بالرقة ودفن بها ، ووصل نعيه الى الجزيرة ، وكنت بالجزيرة ، وفي هذه السنة أقمت بها مدة وعدت الى ميافارقين .

وفي سنة اثنتين وثلاثين اصطلح زنكي مع صاحب دمشق وتزوج بأمه ، وفيها تسلم زنكي حمص ،وقتل خيرخان صاحبها ، وفيها قتل شهاب الدين صاحب دمشق وولي ابنه .

قيل وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة نهب الأمير داود ارزن ، وسبى أهلها ونهب أموالهم ، وأباح الجند كلها ،وكان بها ، وجرى عليهم أكثر مما جرى على أهل طنزة ، ولقي الناس منه مالا يوصف .

ووصل السعيد حسام الدين الى ميافارقين ، ووصل اليه حسام الدولة قرتي بن الأحدب صاحب ارزن .

قيل وفي شوال سنة ثلاث وثلاثين توفي شوتكين المرجي صاحب حران ، وقصدها أتابك وتسلمها .

وفي هذه السنة كسر حسام الدين الأفرنج في شبختان ، وأخذ القافلة من باب الرها ، وكنت في هذه السنة بآمد .

وفي هذه السنة اصطلح السعيد حسام الدين وأتابك زنكي وأخذ دارا ، وتزوج بصفية خاتون بنت السعيد حسام الدين ، وحملت في سنة أربع وثلاين وخمسمائة الى الموصل ، وكنت بها .

وأقمت بميافارقين الى آخر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وانحدرت الى بغداد واجتمعت بالسعيد مؤيد الدين أبي عبد الله محمد بن الأنباري رحمه الله ، ووصلتها في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، لأنني كنت أقمت بالجزيرة والموصل مدة ، وأقمت ببغداد مدة ستة أشهر ، ورأيت الخليفة المقتفي لما بايعه اخواجا عن الملك ، ودخل الخليفة المقتفي بأخت السلطان ، فكنت ببغداد وحضرت باب الحجرة ، واملاك السلطان مسعود بابنة الخليفة المقتفي ، وخطب قاضي القضاة الزينبي ، وكمال الدين صاحب المخزن ، ورأيت جماعة من كبار أهل العراق ، وقرأت على الشيخ ابي المظفر بن الشهر زوري العطار الفرائض وقرأت الفصيح والعمدة على الشيخ ابي منصور الجواليقي ، وقرأت التنبيه على الشيخ أبي الحسن ولقيت الشيخ ابا منصور الحمال وجماعة الفقهاء من الشيخ عبد القادر بن الفراوي ، وأولاده قاضي القضاة الدامغاني ويوسف الدمشقي وجماعة من أصحاب الحديث منهم : القاضي أبو بكر قاضي البيمارستان ، وابن السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي وجماعة كثيرة ، وسمعت عليهم وقرأت على الشيخ ابي محمد ابن بنت الشيخ القرآن ، وعلى الشيخ عبد الوهاب الخفاف ، وأقمت ببغداد وزرت جميع المشاهد بها ، ونزلت الى المدائن وزرت قبر سلمان

الفارسي ، وأقمت ببغداد الى خامس محرم سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وكان شرف الدين الزينبي في الوزارة ، فغضب في آخر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، ومضى الى دار السلطان مغضبا ، وأقام بها ، ونفذ الخليفة الى السلطان خادما اسمه نجاح ، استأذن في عزله ، وناب في الوزارة قاضي القضاة الزينبي مدة ، وناب بعده مؤيد الدين سديد الدولة ، ووصل امر السلطان بعزله في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وولى الوزاوة نظام الدين أبا المظفر ابن الزعيم بن جهير ، وكان استاذ الدار ، واستقر بها .

قيل وفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ملك اتابك زنكي قلعة بعلبك ونزل على دمشق وحاصرها مدة ، ثم سلموا اليه قلعة بصرى .

قيل واستقال صاحب المخزن كمال الدين ومضى الى مكة وولي موضعه قوام الدين بن صدقة ، ولزم شرف الدين الزينبي داره ، وكان صاحب الديوان صفي الدين بن الزوان الهاشمي ، واستقر نظام الدين في الوزارة ، ثم عدت الى ميافارقين في أوائل محرم سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وعبرت بالموصل وحصن كيفا فصادفت الأمير داود وقد وقع بينه وبين السعيد حسام الدين ، ونهب بلد ميافارقين في محرم سنة ست وثلاثين ، ونزل على باب المدينة وأقام بها ثمانية أيام ثم رحل الى تل شيح وأخذها وأقطع البلد ، وكان السعيد حسام الدين قد خرب قلعة فشاط (٦١) وأخذها وسباها وأقطع الجبل جميعه ، وبقي كل يوم يغير من الموضعين الى باب المدينة وتؤخذ ثياب الناس في النهار ، وكان حبشي في البلاد والحاجب يوسف ينال في الولاية وساس الناس وحفظ البلد ، وبقي الأمر كذلك الى آخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وفي سنة ست وثلاثين اصطلح الأمير داود والسعيد حسام الدين ، ووصل الأمير داود الى ميافارقين ، ونخل القصر ، واتفق ان وقع الاتفاق بينهما .

قيل وفي منتصف جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وخمسمائة مات الأمير سعد الدولة بالبلدي بن ابراهيم صاحب آمد ، وكان مؤيد الدين نيسان يتولى آمد ، فرتب ولده شمس الملوك محمود في الامارة وقررها ، وكانت أمه يمنى خاتون بنت نجم الدين الغازي ، وكان حسام الدين خاله ، وكنت في هذه السنة بآمد وكنت في صحبة والدي رحمه الله .

وقيل في سنة ست وثلاثين وخمسمائة قتل شمس الملوك بدمشق .

قيل وكان شرف الدين الحبشي والعميد أبو طاهر بن المحتسب لما عاد المؤيد أبو الحسن بن المخطر الى خدمة السعيد حسام الدين قبضه حبشي في سنة أربع وثلاثين ، وبقي في القبض ، فقتل أخاه الرئيس أبا سعيد تحت العقوبة وبقي الى آخر سنة ست وثلاثين ، ونفذ أتابك زنكي الى حسام الدين يقول : ان كان رسل تصلني منك او تصلك مني ، لاينصحوك ولاينصحوني ، فان اردت اتفاقنا فنفذ الي حبشي ، فنفذه اليه ومعه الحاجب ناصر ، ومعه جماعة ،فلما لقوه انزلهم ، وبقي ثلاثة أيام ، ثم ولى شرف الدين حبشي الاستيفاء وخلع عليه الجبة الأطلس والبردان بالذهب العراقي والفرس بالمركب ، وعادت الرسل الذين مضوا معه ، ثم انه تضمن لأتابك زنكي أخذ البلاد ، وقاطعه في ذلك فقال :لي من قد حلف لي ، ومتى وصلنا الى البلاد سلمتها اليك .

وفي هذه السنة قبض السعيد حسام الدين على الأجل أبو الوفاء ابن السرطان وحبسه مدة ، ثم قلع عينيه ، ورمى به من رأس قلعة ماردين الى الميدان .

قيل وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة صعد أتابك زنكي الى ديار بكر ، ودخل الى ولاية الأمير يعقوب بن السبع الأحمر فقصد حيزان

والمعدن وايزون وبطليس ، (٦٢) واخذ جميع الولاية ، وكنت ، بالموصل في هذه السنة .

وفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة قصد أتابك زنكي البلاد ، ووصل الى بلد ماردين ودخل الى تل بسمى (٦٣)على أنه يدخل الى ولاية آمد وميافارقين ، وكان قد ملك حاني واسعرد وجبل جور وبالقرنين ، وجميع تلك الولاية أخذها بعد صلح الأمير داود ، ونزل في الزيتون الذي في تل بسمى ، فلما كان بعض الليالي دخل على حبشي في الخيمة : وشك الشافضي ومحمد ابن أبي المكارم المحلبي وضرباه بالسيوف ،(٦٤)وأخذا راسه وسارا به الى السعيد حسام الدين ، ووقعت الصيحة واختبط الناس والعسكر ، وأصبح أتابك من غدوه فرحل وعاد الى نصيبين

قيل وفي يوم الأحد تاسع عشر محرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة مات الأمير داود بحاني ، وحمل الى حصن كيفا ، وعبر تابوته يوم الاثنين وحط بجامع المحدثة ،(٦٥) وخرج اليه الناس والقراء وحمل من غدوه الى حصن كيفا ، وملك بعده ولده الأمير فخر الدين قرا أرسلان حصن كيفا وخرتبرت وبالو (٦٦) وملك ولده ارسلان تغمش قلعة منازكرد ، وقصد اتابك ولاية الأمير داود فملك اسعرد وباهمود وطنزه وباناسا ، وجميع الولاية المتصلة بولاية المعدن ، وعبر الى الولاية الأخرى وذلك حاني وجبل جور وبالقرنين والسيوان ، فنزل وملك ارقتين والهالار وتل خوم ، وجرموك وجميع ذلك غير خرتبرت وبالو ومنازكرد وبقيت بيد أولاد الأمير داود(٦٧)

وفي هذه السنة قتل السلطان داود بسوق تبريز ، وفي هذه السنة تزوج ارسلان تغمش بن داود بهدية خاتون بنت السعيد حسام الدين ، وحملت إليه إلى منازكرد ، ووقع الخلف بين اتابك وحسام الدين

ومضى أتابك ونزل الى الرها وحاصرها مدة ، ثم فتحها عنوة في

خامس والعشرين من جمادى الآخر ، وكان ثالث عشرين كانون الأول سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وكان أخذتها الأفرنج بعد موت تاج الدولة (٦٨) في سنة اثنتين وتسعين واربعمائة ،وكان لها بأيديهم سبع وأربعين سنة ، ثم رحل عنها بعدما رتب أمرها ونزل الى البيرة (٦٩)فحاصرها مدة ، وكانت النصارى يقولون : إن اتابك يقتل ليلة الميلاد ، وكانوا ينتظرون ذلك ، وكان فتحها ليلة الميلاد ، وسلم أتابك وكذبوا .

قيل وبقي يحاصر البيرة مدة فوصله الخبر ان نصير الدين جقر وصل الى الموصل وقتل ، وكان قتله غلمانه في ثامن ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة فرحل اتابك عن البيرة ، ونزل الى الموصل وقرر حالها ، ورتب فيها زين الدين علي الوشك .

وكان في سنة تسع وثلاثين مات الأمير كرج غازي صاحب البارعية (٧٠)بآمد ، وكان لقي الناس من نصير الدين شدة من الجور والظلم والقتل والمصادرات والأقساط ، فلما ولي زين الدين أزال ذلك جميعه فأحسن الى الناس والرعايا في جميع البلاد ، ورأى الناس منه كل خير الى أن مات في سنة اربع وستين وخمسمائة .

وكان في شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة استدعى علم الدين أبي الفتح محمد بن علي بن نباتة الى ماردين وولاه الأمير حسام الدين قضاء ماردين ، وولى أخاه بهاء الدين خطابه ميافارقين ، وكان قاضي ماردين مجد الدين داود بن القاضي السديد ، فعزل في تلك السنة وولي علم الدين ، وكان المؤيد أبا الحسن بن مخطر المستوفي المتولي لذلك ، وبعد يومين ولي الخطابة بماردين وكان بميافارقين له الخطابة ، فولي قضاء ماردين واستقر وأقام بها ، ونقل أهله وأولاده الى ماردين ، وهو بها الى الآن .

وكان وصل الى ماردين مكين الدولة ابراهيم بن منقذ فأقام في ضيافة السعيد حسام الدين مدة ، ثم إنه بعد يومين من ولاية علم

الدين قضاء ماردين ولي حسام الدين الوزارة - سنتان - المهذب البغدادي ، وكان ناسخا بمشهد ماردين ، وهو أبو عبد الله محمد ابن محمد العراقي ، وكان يقول : أنا ابن بنت المعوج من اهل بغداد ، وكنت في هذه السنة بماردين ، وكان السعيد حسام الدين في أول ولايته بميافارقين نقل شمس الدين الغازي وشمس الدولة أخاه من مسجد الأمير الى ماردين ، ثم دفنهم بقلعة ماردين في مسجد الخضر بالقلعة ، وكان في ذلك الموضع تربه فيها جماعة من مات في ايام الغازي ، فدفن الغازي وشمس الدولة هناك مدة ، ثم ان السعيد حسام الدين بنى تحت ربض ماردين عند عين باقيري (٧١)مشهدا مليحا ، وبنى فيه تربة ، وغرم عليها مالا عظيما ، ووقف عليها الوقف ، وحط المقابر اليها ، ودفنوا فيها جميع الذين كانوا بالقلعة أولا وأخيرا ، ونفذ اليها البسط والستور والآلات وجمع فيها خزانة كتب ، وحصل فيها كتبا كثيرة ، وهي الى الآن بها .

قيل وفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة انهدمت عمارة جسر اقرامان ، ومن سنة ثمان وأربعين ، وفيها انهدمت البدنة داخل ميافارقين ، وبنيت .

قيل وفي سنة أربعين قبض الوزير المصري ، وحبس في قلعة ماردين فحصل عنده في الحبس ثياب خام ، وخرج من الحبس وشدها في وسطه وتدلى من قلعة ماردين وانهزم ، فلما أصبحوا طلبوه فلم يصادفوه ورأوا الخام مشدودا ، فطلبوه فوجدوه في طرف الجبل ، فحملوه الى السعيد حسام الدين فأطلقه وصرفه ولم يسيء اليه .

قيل وفي سنة اربعين وخمسمائة كسر السعيد حسام الدين فخر الدين قرا ارسلان على باغين (٧٢) وكان يوما عظيما مشهودا ، وكانت الكسرة والفتح لشهاب الدين محمد بن الياس بن الغازي ، فإنه كان رأس العسكر مع عمه حسام الدين .

وفي سنة اربعين وصل اتابك زنكي الى ميافارقين وأخذ تل شيح ، وضايق ميافارقين مدة ، ثم سار

قيل وفي سنة اربعين وخمسمائة وصل الشيخ نور الهدى سليمان ابن عمر العلوي من أسعرد الى ميافارقين ، وكان حسام الدين بالبلد ، فخرج أهل ميافارقين بأسرهم ولقوة مقدار فرسخ ، وخرج الأمير فلقيه عند قبة السلطان ، وكان فاضلا عالما ، ونزل عند تاج الدين رحمه الله في دار علم الدين ، وبعد يوم نزل الأمير اليه ، ولم يقم له ، وجلس في الجامع ووعظ وتكلم وافتتن الناس به ، وبلغ من الأمير مبلغا عظيما ، وكان في اوفى منزلة ، وحصل اذا كان الأمير بميافارقين كان معه واذا سار الى ماردين سار معه ، وكان يقيم حيث أقام الأمير ، وحصل له الناموس العظيم بحيث انه مدة مقامه عند الأمير لم يقم له يوما قط ، وحصل يبدو منه ما لايليق بمثله ، ونقص في اعين الناس ، وسار الى الشام ، وبقي مدة ، وأخذ قلعة ابي قبيس ، ووقع بينه وبين الاسماعيلية ، وعاد الى السعيد حسام الدين وأقام مدة وكان أطمع السعيد حسام الدين في عمل الكيمياء ، ولم يصح منه شيء ، ومضى الى اسعرد وأقام بها مدة الى شهر ربيع الأول سنة ست واربعين وخمسمائة ، فدخل الى الجامع وكان يوم الجمعة ، فوثب عليه رجلان من الاسماعيلية ، وضربه احدهما بخنجر فضربه بسيف كان بيده فوثب عليه رجل فضربه بسكين فوقع واختبط الناس وقبض الذي ضربه ورفيقه ، وبقي الى يومه ومات رحمه الله ودفن بأسعرد في مسجد الخضر عليه السلام وقتلوا الذين قتلوه .

قيل وفي سنة اربعين وخمسمائة اتصل المولى نجم الدين المالك الى خاتون بنت الأمير أحمد بن سكمان صاحب أخلاط وكانت أخت شاه ارمن لأمه،وبنت ، ووصل صفي الدين بن رشيق وأثير الدين عباد بن ابي الفتوح وسراج الدين بن كامل غازي ، وجماعة من أكابر دولة بيت سكمان ، وأقاموا اياما بميافارقين وساروا الى ماردين وعادوا ومضى القاضي علم الدين ابو الفتح محمد بن نباته

ومعه اكابر الدولة الى اخلاط في سنة احدى واربعين وخمسمائة واحضروا الخاتون ، وكان العرس بماردين ، وحضر اكابر دولة اخلاط .

قيل وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة شرع السعيد حسام الدين رحمه الله في بناء جسر أقرمان (٧٣) على القنطرة بتولي الزاهد ابن الطويل ، واستقرت قواعده من الجانب الشرقي وقلعة المد واخربه ، وضعف عمله وأخربه والزم الزاهد بعمارته ، فأخرج عليه ، ثم وليه الأمير سيف الدين شيرباريك بن محمد ، ودبر على ابن ارتق ، وشرع في عمارته بتولي ابي الخير الغاسول ، وأحضر أخشابا لم ير مثلها ، وابتدأ في عمارته ، وهو من العجائب التي بنيت في كل الزمان ، وبقي العمل فيه .

وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة نازل اتابك زنكي قلعة جعبر ، وفيها سيف الدولة ابو الحسن علي بن مالك ، وضايقها مضايقة شديدة حتى أشرفت على الأخذ ، وكان جمال الدين سربي ولد السعيد حسام الدين في خدمته ، ومعه عسكر ، وكان قبضه وحبسه في بيعة ربض القلعة ، ولقد سألت الوالي الصدر الكامل قاضي القضاة كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري ادام الله ظله في سنة اربع واربعين وخمسمائة بالموصل عن قتل اتابك ، وما جرى فقال :كنا نازلنا القلعة مده ، فلما كان بعض الايام خرج بعض الايام حسام الدين المنبجي وصاح :لدي ما اكلم الأمير علي فتراءى له من على السور وقال له : تعلم ما بيني وبينك ، وإذك تعرف ايش هو ، ومالك من تلتجيء اليه ، ولا من يصرفه عنك ، والرأي ان تسلم ، وإلا إن أخذها بالسيف يجري ما لاتقدر على دفعه ، وبعد هذا ايش تنتظر ؟ فقال له : يا امير حسان انتظر الفرج من الله تعالى ، وما انتظرت على منبج لما حاصرها الأمير يلك وكفاك الله أمره ، فقال كمال الدين : والله ما كان الا تلك الليلة نصف الليل ، وكان ذلك اليوم الأربعاء خامس شهر ربيع الأول — وقيل تاسعه — سنة احدى واربعين وخمسمائة والصائح

من القلعة يصيح : قتل اتابك يا بن حسام الدين لك البشرى ، فاختبط الناس وماجوا .

وكان سبب ذلك ان الامير اتابك كان يبيت في الخيمة وعنده خادم ، فما كان يبيت عنده غيره ، فلما نام تلك الليلة قتله الخادم في الخيمة ، فأخذ السكين بالدم وخرج وطلع الى الربض الى تحت القلعة وصاح اليهم : قتلت اتابك ، فلم يصدقوه فأراهم السكين وعلامة أخرى كان اخذها من عنده ، فأصعدوه اليهم ، وحققوا الحال منه ، وصاحوا فاختبط الناس واختلفوا وقصدوا مخيم جمال الدين الوزير فنهب وانهزم وجاء الي ، وقصدني الامراء والكبار وركبت وقالوا : ما رأي الملك ؟ فقصدوا وقصدت خيمة الملك الب ارسلان بن محمود ، وقلت:انا والناس واتابك غلمان الملك والبلاد له والكل خدمه ومماليك السلطان ، فاجتمع الناس على الملك ، واطلق جمال الدين سربي من البيعة وسيروه الى ماردين ، وتفرق الناس فريقين : واخذ صلاح الدين محمود بن ايوب اليغسياني ذور الدين محمود وعسكر الشام ومضوا الى الشام فملك حلب وحماه ومنبج وحران وحمص وجميع ما بيد اتابك من الشام ، واستقر به ، وسرنا نحن مع الملك وعساكر ديار ربيعه فطلبنا الموصل ، فوصلنا الى سنجار وانهزم الملك وطلب الجزيرة ، فلحقه اخي تاج الدين ابو طاهر يحيي رحمه الله ، وعز الدين ابو بكر الدبيسي ، وحلفا له ورداه الى المعسكر .

ونزلنا الى الموصل ، ووصل سيف الدين غازي بن اتابك من بلد شهرزور وكانت اقطاعة من السلطان ، فملك ديار ربيعة بأسرها ، وحمل الملك الى قلعة الثلو عند سنجار ، وملك الموصل وجميع البلاد ، وسيف الدين غازي استوزر جمال الدين محمد بن الاصفهاني ، وكان مستوفي ديوان ابيه ، وأقطع الجزيرة لعز الدين ابو بكر الدبيسي ، واستقر في البلاد .

وتولى أمر ذور الدين:صلاح الدين واسد الدين

شيركوه ، واحتجب مجد الدين أبا بكر بن الداية ، وكانت امه داية نور الدين ، وهي ربته ، وكان مجد الدين يخدمه من صباه ، فلما ولي الأمير رد اليه الأمر ، وولاه حلب ، واستقر في الشام (٧٤)

وبعد ايام من قتل اتابك ، وثب أهل الرها من الأرمن على من كان بها من المسلمين وقتلوا جماعة ، ووصل عز الدين الدبيسي وحسان المنبجي وجماعة من التركمان ، وتكاثروا عليها ونهبوها وفتحوها وقتلوا منها خلقا كثيرا ، وأقام بها جماعة .

وكان عند قتل اتابك السعيد حسام الدين بميافارقين ، فوصله الخبر العصر وهو في بستان المحوط ، فسار من وقته ، وكان قبل ذلك اليوم وصله الخبر بقبض ولده جمال الدين فضاق صدره ، ثم وصله الخبر بقتله ، وسار الى حاني فنازلها وبقي عليها مدة ، ثم أخذها ، وكان فيها الأمير غازي بن المهري ، فتحها ثالث عشرين شهر ربيع الآخر سنة احدى واربعين وخمسمائة ، وسار فأخذ السيوان وجبل جور وبالقرنين ، ونزل فأخذ شبختان الموزر وتل موزر وجملين (٧٥) ورأس عين الخابور ، وعاد .

وكنت في هذه السنة بماردين ، وسار فخر الدين قرا ارسلان وملك . أرقنين وجرفوك ، وتل خرم والهالار ، وجميع الحصون التي كان اخذ اتابك من ابيه الأمير داود ، وملك جانب الشرقي من اسعرد وبهمرد وباناسا وطنزه والروق ، وقطليس وبلد صاف وقلعة الهيثهم التي في جبل طور عبدين(٧٦) ونزل صاحب اخلاط شاه ارمن فملك حيزان والمعدن وايرون ، وجميع الولاية التي أخذ اتابك من الأمير يعقوب .

وفي هذه السنة اثنتين واربعين وخمسمائة ضرب السعيد حسام الدين الفلوس الصغار ، ومضيت الى المعدن واشتريت صفرا برسم الفلوس .

وفي سنة ثلاث واربعين مات غلان تغمش بن الأمير داود ، ونازل السعيد حسام الدين اسعرد اياما واخذ باناسا ، وكان وصل الى خدمته جمال الدين محمود صاحب آمد وجمال الدين ابو القاسم بن نيسان وكان معه على اسعرد فلما اخذها عاد الى ميافارقين ، وبعد مدة ردها الى فخر الدين ، وفي هذه المدة (ملك) فخر الدين قرا ارسلان منازكرد ، وعادت هدية خاتون الى ميافارقين .

وفي هذه السنة وقع الخلف بين السعيد حسام الدين ، وابن اتابك سيف الدين غازي ، ونهب بلد ماردين ، ونهب مماليكه جماعة .

وفي هذه السنة وصلت الخاتون بنت عز الدين سلتق صاحبة اخلاط الى حصن كيفا طالبة الحجاز ، فأنزلها فخر الدين قرا ارسلان ، وأحسن في اكرامها ، ووصل بهاء الدين الوزير ، وأثير الدين عباد ، وعلم الدين بن طبز قاضي أرجيش ونزلوا في دار المؤيد مخطر بميافارقين ، وأقاموا أياما ، ونفذ السعيد حسام الدين الى فخر الدين ، ومنعوا الخاتون من المسير الى الحجاز ، وكان شاه ارمن سألهم ذلك ، فسألوا الخاتون حتى عادوا جميعا الى اخلاط .

وفي هذه السنة مات المؤيد المستوفي أبو الحسن المبارك بن مخطر ، وكان متولي الديوان ، وكان معه المهذب العراقي مشرفا ، ودفن في ماردين في البيعة التي بناها ، وولي موضعه ولده الأجل كريم الدولة ابو منصور خالد وتلقب لقب أبيه مؤيد الدولة ، كريم الملك ، وأقام بشرائط الخدمة وتابع ما فوض اليه ، واستقل وزاد على مايرجى منه ، وحصل الأمور كلها بحكمه .

قيل وفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة مات الخليفة الحافظ بمصر وولي موضعه ولده المنصور اسماعيل وتلقب بالظافر ، وكان

السلطان أمير الجيوش العادل السلارمن المختنى ، وقرر أمر الدولة ورتب العساكر ، واستقر الظافر بالخلافة (٧٧)

وقيل في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة قبض اتابك غازي على القاضي كمال الدين وتاج الدين ابني عبد الله الشهرزوري ، وكان أمر الدولة من حيث قتل اتابك زنكي اليه ، فسعى جمال الدين الوزير وزين الدين في ذلك وقبضا عليهما ، ورفعا الى قلعة الموصل ، واستحضروا القاضي نجم الدين ابا علي بهاء الدين بن الحسن بن علي بن القاسم الشهرزوري من الرحبة ، وكان بها متولي القضاء ، فانه لما مات بهاء الدين الشهرزوري في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بالرقة على ماذكرناه ، ولي قضاء بلاد اتابك اجمع ولده القاضي نجم الدين أبو الحسن بن علي ، وولى ابن أخيه شمس الدين أبو أحمد الموصل ، وولى كمال الدين قضاء نصيبين والعسكر ، وولى تاج الدين أبو طاهر قضاء الجزيرة ، وولى شرف الدين ، أخو بهاء الدين سنجار ، وكل منهم ولي مستقلا من غير نيابة ، فانهم كانوا جميعهم في هذه المواضع نيابة عن بهاء الدين ، فلما مات تولى هؤلاء هذه البلاد ، وولي نجم الدين ولد بهاء الدين باقي البلاد اجمع والقضاة ، وبقي الى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وتولى شمس الدين أبو أحمد موضع قاضي القضاة بالموصل ، وخدم (٧٨)نجم الدين ،فأخذ قضاء الموصل مضافا الى ماكان بيده ، وبقي الى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وقبض نجم الدين متولى نصيبين وصور وحبس ، وعوقب عقوبة عظيمة ، وأخذ منه مصادرة مايقارب مائة وثلاثين الف دينار أميرية (٧٩)، وولي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري البلاد جميعها ، واستقر بالأمر وحصلت الولاية من القضاء والبلاد والعساكر وجميع الأمور مردودة الى كمال الدين الى أن قتل اتابك على ماذكرناه ، وبقي نجم الدين في الحبس مدة اربع سنين ، ثم ان القاضي كمال الدين توصل في اخراجه وولاه قضاء الرحبة ، فانه كان في أيام أبيه بهاء الدين وبقي فيه الى أن قبض كمال الدين على ماذكرناه ، وحضر وولي الموصل ورتب ولده الأكبر بهاء الدين على

ماذكرناه بالرحبة ، واستقر هو بالموصل ، وبقي كمال الدين وتاج الدين في حبس الموصل بالقلعة مدة ، فنفذ الامام المتقي الخليفة رحمة الله عليه جماعة رسلا الى الموصل ، فتوصلوا في اخراجهما الى دورهما ، ورتب على باب كل واحد منهما رجلين خراسانية بحيث لايدخلون ولايخرجون ، وأخذ ولد كمال الدين أبو أحمد الجلال ، وتاج الدين أبو الفضائل الضياء وحبسا في قلعة الموصل ، فاستبد نجم الدين بقضاء الموصل ، وأقطع عز الدين أبو بكر الدبيسي الجزيرة ، ورتب فيها قاضيا يعرف بابن حمزة من أهل دقوقاء مدة (٨٠)

قيل وكانت في سنة ست وثلاثين وخمسمائة ولي الوزير نظام الدين أبو جعفر ، وقتل المظفر شرف الدين الزينبي ، وولي قوام الدين بن صدقة المخزن على ماذكرناه ، وبقي الوزير الى سنة احدى وأربعين وخمسمائة في الوزارة ، ومضى الى مكة ، وعاد الى بغداد .

وفي هذه السنة حج بهاء الدين أبو طاهر بن عقيل بن طاهر بن نباتة من ميافارقين ودخل الى بغداد وحضر دار الخلافة ، وأورد فصلا بحضور الوزير نظام الدين ورشيد الدولة بن الأنباري رحمهما الله ، وجميع أرباب دولة الخليفة ، وعاد وخلع عليه الخليفة ، وكان صحبته عين القضاة أبو الفتح بن العمراني ، وبعد عود الوزير الى بغداد بقي مدة وعزل من الوزارة وولي قوام الدين ابن صدقة الوزارة ، وولي المخزن زعيم الدين بن جعفر ، وولي الديوان الأجل جمال الدين أبو المظفر بن هبة .

قيل وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ماتت الخاتون فاطمة زوجة الخليفة المقتفي ببغداد .

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة حضر الشيخ شرف الدين بن سعد بن عصرون من الموصل ، وعقد على زمرد خاتون بنت السعيد

حسام الدين لاتابك غازي وكان الاملاك بقصر ميافارقين على عشرين الف دينار ، وكان الوالي الشيخ عز الشيوخ ابو القاسم بن حبشي .

وفي شعبان سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وصل عز الدولة ابو نصر بن نيسان الى ميافارقين ، وعقد على صفية خاتون بنت السعيد حسام الدين لجمال الدين شمس الملوك محمود بن ايلدي صاحب آمد على خمسين الف دينار ، وكان الوالي الخطيب تاج العلماء الحصكفي ، وحملها في الخمس الاواخر من شعبان الى آمد ، وفي سنة ثلاث واربعين وخمسمائة حضر الامير بهاء الدين سيونج بن كجمش الوزير ضياء الدين من عند الامير فخر الدين دولت شاه بن طغان ارسلان صاحب ارزن وبدليس وعقد على نوره خاتون بنت السعيد حسام الدين على خمسين الف دينار ، وكان الوالي وكان العقد بميافارقين .

وكان في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة مات حسام الدولة توفي بأرزن وولي الامارة أخوه شمس الدين ياقوت ارسلان الى سنة أربعين وخمسمائة وقصد اخاه دولت شاه الى خدمة اتابك زنكي ، لما عبروا أخذ بلاد الامير داود بعد موته ، ثم مات ياقوت ارسلان يوم السبت مستهل شهر رمضان سنة أربعين وخمسمائة .

وسار ضياء الدين أيوب الى معسكر اتابك فجاء بالامير دولت شاه ، ويلقب فخر الدين ، وعبر به على باب ميافارقين ، وسار الى أرزن وملك البلاد ، واستبد بالامارة وملك جميع ولاية ابيه وأخوته ، وكان ضياء الدين ايوب تزوج أمه ، واتصل الى السعيد حسام الدين ، وفي ذي الحجة وصلوا الى ميافارقين ، وأخذوا الخاتون وساروا بها الى أرزن وعمل العرس بميافارقين .

وفي سنة ثلاث واربعين وخمسمائة سار تاج الدين ابو سالم طاهر بن نباتة الى الحجاز ، ودخل بغداد وحضر ديوان الخلافة .

وفي سنة ثلاث واربعين وخمسمائة عاد الوزير مكين الدين المصري الى ميافارقين وولاه السعيد حسام الدين الوزارة ، وبقي اياما ، وكنت في هذه السنة متولي اشراف ظاهر بلد ميافارقين وبقي مدة ، ثم انه قبض المؤيد والمهذب وعاقبهما بالقصر اياما ، ثم انه رتب العميد ابي طاهر بن المحتسب في عمل حساب الديوان ، فجلس يومين . لاغير ، ورسم السعيد حسام الدين بعزله وصفعه وحلق لحيته ، وركب حمارا ودوروا به في البلد ، ونفي وأطرف عن البلد ، وبقي الوزير اياما ، ثم خرج بعد العصر ، وغلامه حوله ، وسير حول البلد ، ثم طلب طريق حصن كيفا ومضى ، فقيل للسعيد حسام الدين قد هرب ، فقال : ماأخذ منا شيئا ، فلا تطلبوه ، فمضى ، وفي بكرة الغد اعيد المؤيد والمهذب الى الديوان ، فاستقر امرهما وعادا الى أوفى منزلة .

وفي سنة اربع واربعين وخمسمائة خرج ابن اتابك غازي الى باب نصيبين ، ونفذ الامير جلدك الخليفتي الى ماردين ، وأخذ زمرد خاتون الى باب نصيبين ونزل معها صمصام الدين ، ومرض ابن اتابك سيف الدين غازي ، فحملت الى الموصل ونزلت في درب دراج في دار الخاتون بنت سكمان زوجة اتابك زنكي ، ودخل سيف الدين غازي وهو مريض على شدة ، وأقام بالموصل ، ونفذوا الى بغداد فأحضروا الحكيم ابا البركات فحضر وعالجه اياما ومات في صفر سنة اربع واربعين وخمسمائة ، وولي الامارة اخوه قطب ممدود بن اتابك ، واستقر في الامارة ، ورتب الدولة جمال الدين الوزير ، وزين الدين وعز الدين ، ودفن سيف الدين غازي في المدرسة العمادية (٨١)

وبعد موت سيف الدين اطلق القاضي كمال الدين واخوه من دورهم ، واستدعيا الى الميدان ، وكنت في هذه السنة بالموصل في

خدمة السعيد حسام الدين في بيع الحديد وكنت حاضرا بالميدان ، وكان نفذ الوزير جمال الدين لهما بفلتين ، فركبا وحضرا الميدان داخل الموصل ، فلما دخلا باب الميدان وقد غيرا ثيابهما وركبا بغير طرحات ترجلا ، فلما راهما اتابك قطب الدين طلبهما وترجل لهما ، ولقياه عزياه عن اخيه وهنياه بالامارة وركبا ووقفا من ناحيته ، وبقيا ساعة وعادا الى مقرهما ، وازالوا الاجناد من على ابوابهما ، وحصلا يركبان في كل اسبوع الى خدمة اتابك ، وزين الدين وجمال الدين ، وبعد مدة نفذا وقررا الحال مع السعيد حسام الدين ، وعقد لاتابك قطب الدين على زمرد خاتون بعد انقضاء مدة الوفاة .

وفي آخر سنة اربعة واربعين نازل السعيد حسام الدين مدينة دارا وامتنع الوالي من تسليمها له فحاصرها مدة ثم سلمها اليه يوم الأربعاء ثاني عشر ذي الحجة وملكها ، ورتب فيها الحاجب ابن نفش الدنيسري ،وكنت بالمعسكر حتى فتحها في خدمة السعيد حسام الدين .

وفي هذه السنة سنة اربع واربعين احترق سوق القبة بميافارقين.

وفي هذه السنة في ذي الحجة وقع الخلف بين اولاد العميد تاج الدين ابي سالم بن نباته ، وسار ضياء الدين الى دارا ، فلقي السعيد حسام الدين ، وخدم واخذ القضاء ، وعاد الى ميافارقين .

وفي ثاني عشر محرم سنة اربع واربعين وخمسمائة ولد قطب الدين بن ايلغازي ولد المالك نجم الدين ادام الله ظلهما .

وفي سنة اربع واربعين وخمسمائة أخذت الافرنج المرية (٨٢) من المسلمين ، ونهبت وحمل نهبها وبيع بديار مصر والساحل والشام .

وفي سنة خمس واربعين وخمسمائة أملك صمصمام الدين بهرام

ابن السعيد حسام الدين ببنت اتابك أخت قطب الدين ، وكنت وقت الاملاك في الموصل .

وفي سنة خمس واربعين وخمسمائة نهبت العرب بنوزغب وغيرهم وذباب وبطران لخر الحاج ، واخذوا جميع ما كان معهم بين مكة والمدينة عند موضع يسمى سد ، وتلف خلق عظيم ، ولم يسمع بذلك الا من سنين بعيدة ، ولم يسلم الا الاقل من الناس ، وكنت في هذه السنة بالموصل مقيما .

وملك حسام الدين بأولاده جميع أمراء ديار بكر وديار ربيعة وارمينية واتصاله بهم ، ولم يبق بعد اتابك زنكي مستقل بنفسه من غير معارض ولا منازع ، ولا من يحكم عليه غير السعيد حسام الدين .

وفي سنة خمس واربعين وخمسمائة مات معين الدين انر بدمشق ، وفيها لقي نور الدين محمود بن زنكي ملك الشام الافرنج وكسرهم اقبح كسرة ، فأسر ابن جوسلين صاحب الرها وما حولها وملكت بلاده جميعها ، وملك نور الدين تل باشر وما حولها وتل خالد وما يليها ، وملك السعيد حسام الدين سميساط ، وفي سادس شهر ربيع الاول سنة خمس واربعين وخمسمائة ملك البيرة ، وفي سنة ست واربعين قتل في هذه الكسرة الحاجب عمر الخاص ، وكان في خدمة نور الدين وملك فخر الدين قرا ارسلان من ولاية ابن جوسلين حصن منصور وبالو ، واخذ من الارمن قلعة كركر (٨٣) ، وملك السلطان قليج ارسلان مرعش وكيسوم وماجاورها ، ولم يبق لابن جوسلين من الولاية غير قلعة الروم (٨٤) ، ولو عاش السعيد حسام الدين لكان ملكها .

وفي سنة خمس واربعين وخمسمائة مات معين الدين انر بدمشق (٨٥) .

وفي سنة ست واربعين طهر السعيد حسام الدين اولاد الامير جمال الدين سربي بميافارقين .

وفي سبع واربعين وصل الى السعيد حسام الدين مذشور من السلطان والخليفة وقرىء على المنبر بالبلاد والخلع ، وبعد ليلتين وهي ليلة الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الاول سنة سبع واربعين ، انهدم الجامع بميافارقين موضع المنبر والاروقة ، وكنت ببغداد ، واجتمعت ببغداد بقطب الدين العبادي الواعظ وصحبته مدة وكتبت عنه شيئا كثيرا من مجالس ،

وكان سنة اربع واربعين في اخرها ولي وزارة الخليفة عز الدين المظفر محمد بن يحيى بن هبيره ، وعزل قوام الدين صدقة من الوزارة ، واستقر عز الدين ، وكان اليه ديوان الزمام والاستيفاء ، وولي ديوان الزمام جلال الدين بن جعفر أخو صاحب المخزن ، وكان ابوهما من اهل قرية بعقوبا (٨٦) ، كان وزر لمجاهد الدين بهزور مدة حياته ، وبقي الخليفة مستقر الاحوال .

وفي سنة ست واربعين وصل السلطان مسعود الى بغداد ، واقام بها جميع الشتوة ورايته في هذه السنة ببغداد ، ورأيت الفيل والببغة والقرد ، وسار السلطان الى باب همذان فمرض في جمادى الاولى سنة سبع واربعين وبقي ببغداد الى أول رجب من السنة ، وسرت الى ميافارقين ، فلما وصلنا الى تكريت وقع الخبر ان السلطان قد مات ، فاختبط الناس ، وسرنا الى الموصل ، وخرج الخليفة ونزل في دار السلطان ، وملك بغداد ، وهرب مسعود بلال الى تكريت وكان شحنة بغداد ، وكان قد عمل امارة الحاج سنين ، ولقي الناس منه كل خير وراحة ، وجند الخليفة الجنود والعساكر ، واسقط المؤن والاعشار التي كان يأخذها اصحاب السلطان ، واحسن الى الناس ، وعدل في الرعية ، وحصل العراق واستغل ارتفاع العراق جميعه ، فإنه كان للسلطان والخواتين

واصحاب السلطان بالعراق معيشة عشرين الف فارس ، فحصل الجميع للخليفة .

ولما مات السلطان مسعود بباب همذان كان السلطان محمد شاه بن محمود وكان صهره على ابنته في خوزستان ، وكان معه في المعسكر اخوه ملكشاه بن محمود فرتبه خاصبيك بن البلذكري في السلطنة مدة ، فلما سمع محمد شاه سار من خوزستان الى همذان ، فأخذ السلطنة ، وسار اخوه ملكشاه فملك خوزستان والاهواز وطرفا من البصرة ، وبقي مدة ، وقتل خاصبيك بن البلذكري ، واستبد بالسلطنة محمد شاه .

وكان السلطان مسعود رحمه الله سلطانا عادلا ، لين الجانب ، كبير النفس ، بحيث انه فرق ولايته اجمع على اصحابه ، وما كان له غير الاسم من السلطنة ، وكان مع لين جانبه ما حارب احدا الا ظفر به ، وقتل من الأمراء الكبار ما لاقتل غيره منهم : منكورس ، وقراجا الساقي صاحب برس وشيران (٨٧) . وقتل عباس صاحب الري ، وقتل الراشد والمسترشد ودبيس وبوزباه ، وعبد الرحمن بن طغريل ، وجماعة من الأمراء الاسفهسلارية الكبار ، وسعد سعادة عظيمة ، ومات وخلف ثلاثة بنين صغار ، فاستقر محمد شاه في السلطنة ، وملك همذان وأصفهان وما حولها ، من غير خطبة بالعراق .

قيل وفي سنة سبع واربعين ملك فخر الدين قرا ارسلان حصن كركر من الأرمن

وفي سنة سبع واربعين وخمسمائة تزوج جلال الملوك كبك بن سليمان بن عبد الجبار بن ارتق بهدية خاتون بنت السعيد حسام الدين بسفارة أمه الملكة بنت رضوان زوجة حسام الدين .

وفي سنة خمس واربعين كان وصل الى ماردين الوزير زين

الدين اسعد بن عبد الخالق اخو المؤيد زين الدين ، وزير السلطان ، وأقام عند حسام الدين واستوزه ، وبقي في الديوان ومعه المؤيد المستوفي والمهذب ، واستناب رجلا كاتبا يلقب بالشهاب ، واستقر في الوزراة الى سنة ست واربعين وخمسمائة .

وكان في سنة اربع واربعين خرج السعيد حسام الدين ، ونازل آمد ، وطالبهم بصداق صفية خاتون ، وبقي مدة ، ورحل عن آمد الى ماردين ، وبقي اياما ، ونفذ ابن نيسان رجلين فأقاما بقلعة ماردين يعملان بالفاعل اياما ، ثم إن الوزير زين الدين ركب ذات يوم وصعد الى القلعة ، فجاز في موضع ضيق ، فخرج عليه اولئك الرجلان ، فضربه احدهما بفأس في رأسه فوقع ، فطلب جماعة كانوا بين يدي الوزير الرجلين فقالا لهم : ما تريدون نحن نصعد معكم الى الأمير ، فصعدا مع القوم الى باب القلعة والناس خلفهم ، ودخلا القلعة الى بين ايدي الأمير وقالا : نحن قتلنا الوزير ، فقال : ولم؟ فقالا :أمرنا بذلك ، وأكثر الناس قالوا : ان ابن نيسان دس عليه وقتله ، فأمر الأمير حسام الدين بضرب رقابهما على قبره ، وكان دفن بماردين ، وكان الرجلان من الملاحدة ، وعدا حسام الدين نزل على آمد ، وتحدث معه وسأله فيهم ، ثم دخل الى آمد واجتمع بمؤيد الدين بن نيسان ، وقرر معه الحال ، فخرج مؤيد الدين الى الأمير واستقر الصلح ، وخرج الآمدية الى السعيد حسام الدين ، وحصلوا من جملته وتحت امره ورحل عنهم .

وفي العشر الآخر من شهر رجب سنة ست واربعين وخمسمائة ماتت نورة خاتون بنت حسام الدين عند صاحب ارزن ، وخلفت ابنا عاش بعدها اياما ومات ، ودفنت بأرزن ، وضاق صدر السعيد حسام الدين لموتها ، وبقي حسام الدين بعد قتل الوزير زين الدين بغير وزير ، واكتفى بالأجل مؤيد الدولة ابي منصور خالد بن المبارك ابن مخطر الى ان مات ، فقام بما فوض اليه أحسن القيام .

وبقي السعيد حسام الدين في الولاية الى يوم الخميس ثاني ذي القعدة سنة ثمان واربعين وخمسمائة ، وتوفي بماردين ، وكان مرضه من يوم السبت الى يوم الخميس ثاني ذي القعدة ، ودفن بالمشهد تحت ماردين ، وكانت ولايته ميافارقين ثلاثين سنة ، وماردين اثنتين وثلاثين سنة ، فرضي الله عنه ، وكان اميرا عالما مطلعا على جميع العلوم ، يحب اهل العلم ، ويخالطهم ، ويكرم ارباب الفضل ، وكان من أهل كل صناعة ، وكان كريما جوادا مفضالا ، لا يرى القتل الا عند الضرورة ، وكان له من الذمة والجوار ما لا كان للعرب العرباء ، ولقد قصده الأمير ابو بكر صاحب نصيبين منهزما من اتابك زنكي ، فذم له ، وطلبه اتابك ، فلم يسلمه اليه ، وجرى بينهما امر عظيم ، وأخذ اتابك دارا ونهب البلاد ، وخرج عن يد السعيد حسام الدين مالا عظيما ، ولم يسلمه ، وهو كان سبب الوحشة بين السعيد وبين اتابك ، ثم انفصل عنه ومضى الى السلطان مسعود فقبضه السلطان ودفنه الى اتابك فقتله .

وكان السعيد حسام الدين رحمه الله يراعي ارباب البيوت وينظر في أحوالهم ولا يرى قلع البيوت الكبار ، وكان اذا وصله رجل من اصحاب العمائم والعلوم انزله وأكرمه وأحسن اليه ، وأوصل اليه جميع ما يحتاج اليه ، وكان اذا تحقق في رجل شيئا من اي العلوم كان ، قربه وادناه واعطاه وسأله عما يعلمه من علم او صناعة .

وكنت لما مات بولاية الكرج في خدمة ملك الابخاز ديميطري بن داود ملك الولاية بأسرها ، فإني كنت دخلت في سنة ثمان واربعين الى تفليس ، ووصلت الى خدمته ، وسرت معه الى ولاية آلان والابخاز والدربند ، وكنا ذات يوم قريبا من بلد الدربند ، وكان ذلك اليوم رابع المحرم سنة تسع واربعين وخمسمائة ، فاستدعاني وقال :إن صاحبكم حسام الدين قد مات ، وقد وصلني الخبر في هذا اليوم ، وكان ولي ميافارقين في ايامه جماعة من الولاة منهم : الحاجب ابو بكر ، وبيرم وعثمان بن خمرتاش الحاج ، كل منهم

مرة ، إلا الحاجب بيرم فولي مـرتين ، ثـم ولي الحـاجب عبـد الكريم ، ثم عزل ، وولي الحاجب يوسف ينال ثـم عزل ، واعطـي تحت دارا اقـطاعا ، وأخـذه منه أتـابك زنكي ، وولى ميافـارقين مملوكا كان للأمير اسمه قزعلي مدة ومات ، وجلس في القصر الأمير قيماز الخادم ، والحـاجب بيرم مـدة ، ثـم ولي الحـاجب يرنقش مدة ، وعاد الحاجب يوسف ينال مرة ثـانية ، وبقـي في الولاية الى ثالث رجب سنة تسع وثلاثين ومات ، ودفن بميافـارقين ، ثـم ولي ناصر الدولة صندل في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين ، وبقي الى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين ومات ، وبقي ولده غرس الدولة ينال ببرج الملك ، وجلس الحاجب بيرم في القصر مـدة ، واسـتقل ينال بالولاية وبقي واليا الى ان مـات السـعيد حسـام الدين ، رحمـه الله ، على ما ذكرناه إن شاء الله تعالى .

وأنا أذكر نسب الأرتقين

وما وصل الي من أحوالهم ومن بقي من نسل الأمير ارتق رحمه الله

قيل لما مات الأمير ارتق خلف اولادا جماعة منهم : الأمير سكمان ، ونجم الدين غازي ، وبهرام ، وعبد الجبار ، وسياوش ، وألب بارق ، وابنا آخر نذكر اسمه بكاش وابنا آخر اسمه البتاش ، وهؤلاء الذين اعقبوا وبقي نسلهم الى الآن بديار بكر ، وخلف غير هؤلاء ما سمعت ان لهم الآن عقب ، فأهملت ذكرهم .

فأما سكمان فإنه ملك حصن كيفا وبقي مدة ، ومات سنة ست وخمسمائة وخلف الأمير ركن الدولة داود والأمير ابراهيم وملك حصن كيفا بعد ابيه مدة ومات ، وملكها بعده ركن الدولة داود وآزر خاتون ، وملك ركن الدولة حصن كيفا بعده ، وملك غيرها بعد ذلك ، وأولد اربع بنين هم : أرسلان تغمش ، وقرا ارسلان ، وسليمان ومحمود ، وأما ارسلان تغمش فمات ، وكان ملك منازكرد ، وكان ملكها بعد ابيه وخلف ابنا من ابنة السعيد حسام الدين ، ومات بعد ابيه بمدة يسيرة ، وأما سليمان فإنه مات وخلف ابنا اسمه يعقوب هو الآن في خدمة الملك نجم الدين وابنا آخر هو في خدمة جمال الدين في حاني .

وأما محمود ملك طنزه والقريشة ومات ، وخلف ابنا يسمى داود ، وهو في خدمة اولاد عمه فخر الدين بحصن كيفا .

وأما فخر الدين قرا ارسلان فإنه ملك البلاد جميعها التي كانت

لأبيه ، بعد موته على ماذكرناه ومات ، وخلف ابنين هما : ذور الدين محمود وعماد الدين ابو بكر ، وولي الامر بعده ذور الدين ، وهو الآن في الملك ، وخلف بناتا جماعة

وأما الأمير بهرام بن ارتق فإنه خلف الأمير ذور الدولة بلك وملك خرتبرت وبالو وما حولها ، وأخذها منه شمس الدولة سليمان بن الغازي ، وأخذها بعد ذلك الأمير داود بعد موت سليمان ، وكان تزوج بالملكة برخندا خاتون بنت الملك رضوان بعد نجم الدين الغازي ، وهو دخل بها ، وملك طرفا من قريب الفرات ، وكان يغزو الأفرنج ، وقتل على منبج على ما ذكرناه ، وخلف بنتا تزوجها فخر الدين قرا ارسلان ومات عنها .

وأما سياوش بن ارتق فإنه خلف الأمير يونس الحرامي ، رأيته في خدمة السعيد حسام الدين رحمه الله ، وأولد اولادا رأيتهم في خدمة اولاد فخر الدين بحصن كيفا .

والأمير سيونج ، وهو في حاني في خدمة جمال الدين أخو الملك نجم الدين ، وتزوج ببنت الأمير شيرباريك ، وأولد منها ابنا اسمه شاه ملك ، وماتت وتزوج اخت لها اخرى

وأما الب ارسلان بن ارتق فإنه خلف اولادا منهم : الأمير علي ، ملك على جور ، وأولد الأمير ممدود وهو شيرباريك ، وابنا آخر مات ، اسمه محمود ، وأولد ابنا اسمه ....وهو في خرتبرت ، وتزوج شاه ملك بنت شيرباريك في سنة سبع وخمسمائة و ولد شيرباريك : سيونج ، واسماعيل وطغريل ، وبناتا جماعة ، وأولد ابنا من جارية اسمه زنكي ، وبقي في خدمة ابيه مدة ، ومضى الى مصر وتوفي بها في ايام شاور ، وأما طغريل فمات بحصن كيفا وحمل الى ميافارقين ، واما سيونج ، وكان اكبرهم ، وتزوج بصفية خاتون بنت الملك رضوان ومات ولم يعقب

وأما اسماعيل ، فله ولدين ذكور ، وهو في خدمة الملك نجم الدين ، وبقي شير باريك في خدمة الملك حسام الدين الى ان مات وانتقل الى خدمة فخر الدين قرا ارسلان ، وبقي عنده مدة وعادإلى خدمة الملك نجم الدين ومات في رجب سنة ست وستين وخمسمائة ، ودفن في قرية لهم في اسفل المقابر .

وأما عبد الجبار فإنه خلف ثلاثة بنين : أغسيان ، وأرسلان وسليمان ،أما أغسيان فانه انتقل وخدم بولاية اخلاط مع بيت سكمان ، واولد هناك ولدين : الأمير احمد ، والآخر يلقب عز الدين ، وانتقل الى خدمة فخر الدين قرا ارسلان بحصن كيفا ، وحصل عنده في أوفى درجة ، وزوجه بنت اخيه ارسلان تغمش ، ومات بالصرع ، وخلف ابنا له هو في خدمة اولاد فخر الدين .

وأما البتاش فإنه خلف الأمير علي الحرامي ، ومات في خدمة حسام الدين ، وخلف ولدين : أحدهما ابي بكر ، وقد لبس الصوف وهو فقير ، وعمر وهو في خدمة اولاد فخر الدين بحصن كيفا .

وأما الأمير ارسلان بن عبد الجبار فإنه ملك جبل جور وبالقرنين والسيوان ، وبقي مدة ، وأخذها منه السعيد حسام الدين ، وانتقل الى حصن كيفا الى خدمة ركن الدولة داود ، ومات في خدمته ، وخلف اولادا منهم ، بلاق ومحمود ، وبناتا ، وكان زوج بنتا في حياته من الأمير زعيم الدولة مسيب بن مالك صاحب الرقة .

وأقام الأولاد في خدمة فخر الدين ، وانتقل الأمير بلاق الى خدمة الملك نجم الدين ومات .

وأما سليمان ، كان يلقب بدر الدولة ، فإنه ملك حلب ، وتزوج بالخاتون الملكة بنت رضوان ، التي كانت زوجة الأمير بلك ، وأولد منها ابنا سماه كبك ، ويلقب بجلال الملوك ، وأخذت منه

حلب ، ووصل الى خدمة السعيد حسام الدين ، وأقطعه بلد قلب ، وحصنها وبقي في خدمته الى ان مات ، ووصلت الملكة الى ماردين بعد موته ومعها ولده ، فأقامت بماردين ، وتزوجها السعيد حسام الدين حسبما ذكرناه ، وزوج ولدها جلال الملوك من ابنته هدية خاتون في سنة سبع واربعين ، وبقي الى سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، وتوفي بباب نصيبين على ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

وأما الابن الآخر وهو بكداش فإنه اولد ارسلان طغمش ، وانتقل الى خدمة اتابك طغتكين صاحب دمشق ، فإنه كان عنده في اوفى منزلة ، وتزوج بعائشة خاتون ابنة اخي الوزير محمد الدويني ، وأقام بدمشق الى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة في خدمة اولاد طغتيكن ، وقصد الموصل فأقام في خدمة صاحبها مدة يسيرة ، ثم انتقل الى خدمة السعيد حسام الدين فأكرمه وأقطعه اقطاعات كثيرة في آخر سنة اربع واربعين عند ما ملك دارا ، وبقي مدة يسيرة ومات وخلف ثلاثة بنين ، أحدهم كان يلقب شمس الدولة ، عاش في خدمة السعيد بعد ابيه مدة يسيرة ومات ، وبقي الابنان مسعود وبلك ، وبقي مسعود في خدمة المالك نجم الدين مدة ، وانتقل الى خدمة فخر الدين قرا ارسلان ، وأما بلك فإنه بقي في خدمة المالك نجم الدين الى سنة تسع وستين وتزهد وانقطع وجلس في مسجد ياقوت قريبا من باب الهوة في رأس الربض ، وهو الى الآن مقيم به .

وأما نجم الدين الغازي فإنه اولد اولادا جماعة ، أحدهم الياس واياز ، وقتلا في حياته ، وكهار خاتون ، وأما الياس فإنه ولد الامير شهاب الدين محمد بن الياس ، وبنتا من خاتون تزوجها سعد الدين ايللدي صاحب آمد ، وله منها ولد في آمد ، وأما شهاب الدين محمد فإنه نشأ في خدمة عمه السعيد حسام الدين ، وأقطعه تل بسمة ، وكان عنده مكرما الى ان مات ، وبقي مدة بعد موته وانتقل

الى الشام الى خدمة نور الدين فأقطعه اقطاعات كثيرة وبقي في خدمته الى الآن

وله ثلاث بنين وهم الآن في خدمة نور الدين ، وأولد نجم الدين ابنا من جارية اسمه عمر ، زوجها بالأمير أسفهسلار أمروه ، ومات الولد ولم يعقب ، وأولد ابنا اسمه نصر من جارية زوجها بالحاجب عمر الخاص ، ومات ولم يعقب ، وزوج كهار خاتون من سيف الدولة دبيس ، وولدت منه الأمير عز الدين محمد ، وبقي عندها بماردين الى أن قتل دبيس ، ومضى الى الحلة ، وملك مع أخوته وبقي مدة ، وعاد الى خدمة المالك نجم الدين وتردد مرارا ، وتوفي بعد أمه ، وكانت توفت في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، ودفنت بماردين .

وخلف عين الدولة ابنا هو الآن في خدمة شهاب الدين محمد بن الياس ، وأولد نجم الدين بنتا سماها عنيا خاتون تزوجها الأمير ايللدي صاحب آمد ، وأولد منها جمال الدين شمس الملوك محمود ، وهو الآن صاحب آمد ، وماتت وتزوج بعدها بأخت شهاب الدين على ماذكرناه ، وأولد بنتا اسمها سفرى خاتون ، تزوجها حسام الدولة قوتي بن طغان أرسلان صاحب أرزن وبدليس ، ومات وخلف ابنا اسمه ياغي سيان وهو في خدمة فخر الدين دولت شاه عمه .

وأولد شمس الدولة سليمان ، وملك ميافارقين بعد أبيه ، وتوفي وخلف ابنا اسمه محمود ورأيته في ماردين ، وهو في أسوأ حال ، وما أعلم ماكان منه ،

وأما السعيد حسام الدين تمرتاش ، وكان عين البيت ، وسيد الأولاد ، فملك ماردين على ماذكرناه بعد أبيه وملك ميافارقين بعد أخيه ، وبقي الى أن مات وخلف من الأولاد : المالك نجم الدين ألبي ، وملك الملك بعد أبيه ، وجمال الدين سربي ، أعطاه أخوه

حاني والسيوان وحصن قلب ، وصمصام الدين بهـرام ، ملك دارا وهدية خاتون ، هي عند أخيها جمال الدين بحاني ، وزمرد خـاتون بالموصل مات عنها قطب الدين مودود بن زنكي ، وخلف منها أربعـة أولاد : ملك الملوك سيف الدين غازي بن مودود على مـا سنذكره ان شاء الله ، ومات في حياته صفية خاتون زوجة صاحب آمد ، ونوره خاتون زوجـة صـاحب أرزن على مـاذكرناه ، فـرحمة الله عليه ورضوانه لديه .

وهذا ماوصل الي من نسب من بقـي مـن الارتقية ، والله أعلم بالصواب .

ذكر ولاية المالك نجم الدين ألبي بن السعيد حسام الدين تمرمتاش ..

قيل لما مات السعيد حسام الدين رحمة الله بماردين ملك المالك بعد أبيه ، وكان سراج الدولة برغش الخاص بماردين ، فحضر المالك نجم الدين وملك ، وحضر أخوته لديه ، ودفن بالمشهد في أسفل ربض ماردين ، ثم ركب الحاجب سعد الدولة التوباش ، وكان حاجبا لنجم الدين من ماردين ، وسار الى ميافارقين وصبح البلد ، ولم يعلم به الا وهو على الباب ، ودخل وقصد القصر وجلس استأذن له الوالي ، ثم صعد خلف الراجل الى رأس درجة برج الملك ، ودخل الراجل الى غرس الدولة ينال ، ودخل سعد الدولة خلفه ، فلقيه واصرف من كان عنده فأعلمه بموت الأمير ، وأن المالك حصل نجم الدين ثم نفذ وأحضر أكابر الأمراء والدولة والقاضي وأهل البلد ، وتقرر الحال مع الخطيب بهاء الدين ، وكان يوم الجمعة فخطب بالناس ، ودعا لنجم الدين ، ولم يكن أكثر الناس علموا بذلك ، ثم خرج المحتسب ودرب على الناس وسكنهم وعرفهم أن المالك نجم الدين ملك البلاد ، فاطمأن الناس ، وطيب قلوبهم ، ولم ينفسخ على المالك نجم الدين حال ولا عصى عليه أحد ، وملك جميع ولاية ابيه ، وما اختلف عليه أحد ، ولم يسفك في ولايته دم ، واتفق أخوته معه ، وتوطدت له البلاد ، واستقر ملكه ، وراسل جميع الجوانب والملوك والأطراف واستحلفهم ، ونفذوا عزوه وهنوه بالملك ، ولقي الناس في ولايته كل خير ، وظفروا بالعدل والاحسان ، وسار بالناس أحسن سيرة ، وكف عن الناس الأيدي المتطاولة ، ولم ير ملك أعف منه ولا أكبر من نفسه عن أموال الرعية وحريمهم ، وحصل الناس في ولايته على أتم مصلحة ، واستقر في حجبته سعد الدولة التوباش ، وأعطي البوق والعلم والجاويش ، واقطع

سميساط ، وترتب الحاجب شمس الدين سيونج بن ابي سعد بن الوزير أبي منصور الجويني في الحجبة ، واعطي البوق والعلم والجاويش ، وأقطع شبختان ، ورتب في الديوان الاجل مؤيد الدولة كريم الملك أبا منصور خالد بن مخطر في الاستيفاء ، والمهذب العراقي في اشراف الديوان ورتب معهم المختص ظهير الدين أبا الفتح محمد بن قليدان في الديوان ، وكان يخدم المالك نجم الدين في ايام أبيه ، فاستقر الناس ، واجرى الناس على ما كانوا عليه في ايام السعيد حسام الدين من املاكهم وما كان لهم من المعاش والرسوم .

وبعد مدة يسيرة انفصل الأمير شهاب الدين محمد بن الياس في خدمة نور الدين ملك الشام ، وأعطى جمال الدين مدينة حاني ، وصمصام الدين دارا واستقروا ، وبعد مدة مضى سراج الدولة برغش الخاص الى البيرة فتسلمها ، وأقام بها مدة ثم عصى فيها ، ونفذ شهاب الدين محمد بن الياس ليحضره ويسلمها اليه فحضر وغدر به ، ولم يسلمها اليه ، فبقي عليها أياما وغدر به الجند وسلموها الى شهاب الدين ، وقبض سراج الدولة ، وملك البيرة وحصلت له بيده الى الآن ، وهو في خدمة نور الدين ، وبقي سراج الدولة مقبوضا مدة ، ثم اطلقه ومضى الى قلعة جعبر وبقي عند شهاب الدين صاحب القلعة مدة ، ثم انتقل الى اخلاط ، فأقام عند الخاتون الى سنة سبع وستين وخمسمائة ، ومات بخلاط .

قيل وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة أخذت الافرنج عسقلان من أهل مصر ، وكان الخليفة الظافر لما علم أن الافرنج تنازل عسقلان ، فحضر بها ونقل رأس الحسين بن علي عليهما السلام الى مصر ، وبنى عليه بمصر مشهدا غرم عليه مالا يحصى ، ونقل الرأس الى مصر وجميع ماكان بالمشهد بعسقلان من الالات والستور وغير ذلك ، وبعد ايام ملك الافرنج عسقلان ، وهي بيدهم الى الآن ، وكان السعيد حسام الدين قد شرع في بناء جسر اقرامان

على نهر ساتيد وعمر أكثره الى أن بقي فيه بعض العمل في ختم عقد الطاق ، ومات رحمه الله ، وشرع المالك نجم الدين في اتمامه فبنى وجدد في ذلك ، فتم عقد القنطرة ، وكانت نيفا وستون ذراعا بالنجار ، وتم فليس في الدنيا مثلة (٨٨) .

وهو رضي الله عنه أول من بنى جسرا بديار بكر في هذا الزمان ، وبني بعده فخر الدين قرا ارسلان على دجلة بحصن كيفا ، وبنى على شط بانارقن تحت اسعرد ، وبنى على شط اجوم شبوه بين أرزن وأسعرد جسرا آخر ، وتشبهوا بالسعيد حسام الدين ، وبنى جمال الدين وزير الموصل جسر الياربان تحت فنك فوق الجزيرة ، وشرع في بناء جسر على دجلة تحت الجزيرة في موضع يسمى البافتا ، فبنى منه خمس عينات ، وبقيت الوسطى ، ومات جمال الدين ولم يتم عمله ، وكان جسر أقرامان في أول شهور سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وبقي القالب الذي بني عليه الجسر وعقد الطاق ، وجبن الصانع عن نقضه ، فبقي ، ونقض منه طبقة عالية ، وبقي اياما يرتئي في نقضه ، فجاء مطر عظيم ومد لم ير الناس مثله في جانب الغربي والشمال ولم يجيء في جانب الشرق ، وأقرامان قنطرة واحدة ، فأخذ الماء القالب جميعه ونقضه ، ونزل السيل بالأخشاب الى تحت الجسر بفرسخ ، وكان هذا من سعادة الملك نجم الدين ، وكان في آب ، ولقد أخذ هذا السيل من قرنيحا طوبلة خيل كانت لقطع القرية ، وأخذ صخرة عظيمة كانت بقرنيحا ينظر الناس لها لأجل الأطفال والحمة بها في ذلك الموضع من حيث قامت الدنيا ، وكنت لما جاء هذا السيل سائرا من أرزن الروم طالبا اخلاط ، وجاء هناك في ذلك اليوم من المطر مالا يوصف ، وسلم الجسر من السيل ، وتم في باقي ايام المالك نجم الدين دام مجده ،

قيل وفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة قتل الظافر خليفة مصر ، وسبب ذلك ان أمير الجيوش العادل السلار علي بن اسحق وكان له ابن بنت يسمى نصر ويلقب عضد الخلافة ، وكان أبوه

أميرا مقداما يسمى عباس ، وكان عضد الخلافة مواددا للظافر ، وكانا جميعا ياكلان ويشربان ويتفرجان ، وكان يحبه محبة عظيمة بحيث ان الظافر كان لايصبر عن ابن بنت العادل ساعة واحدة فأغرى عباس ابنه بجده العادل فقتله ، وبقي مدة ، وقتل الظافر ثم دخل الى الدار عباس وابنه وقتلوا بمن كان في الدار ، وأخذوا الاموال والجواهر مالايحصى قيمته ، وقتلوا ثلاث بنين للحافظ هم : جبريل ، وابراهيم ، ويوسف ، وخرج العباس وأخذ الاموال والجوهر ، وطلب الشام فأخذته الافرنج وجميع ماكان معه ، ثم ان أهل مصر ولوا عليهم الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك ، وأخرج ابنا للظافر اسمه عيسى ، ويكني بأبي القاسم ، ويلقب بالفائز ، فولوه الخلافة ،وقتل عضد الخلافة نصر ابن عباس ، واستقر الفائز في الخلافة ، وولي الملك السلطنة ، وكان فاضلا يحب العلماء والشعراء ، وكان له شعر مليح (٨٩)

قيل وكان أول ماوصل نجم الدين ، دام ظله الى ميافارقين بعد موت ابيه يوم السبت تاسع صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة وأقام بها اياما ، وعزل غرس الدولة ينال عن الولاية ، وولى الحاجب صارم الدولة ايلدمش بن يوسف مرند في ثامن شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين ، وخرج فنزل اوسل حرف الهينة على تل شيح ، واجتمع بفخر الدين قرا أرسلان في العشر الثاني من شهر ربيع الأول ، وكان جرى بين فخر الدين وصاحب خلاط وحشه ، فسارا طالبين بلاد سكمان ، فوصلا ولاية طوغطاب من ناحية جبل جور ، فنهبها وأقام بولاية منازجرد اياما وما حولها ، فقرر الصاحب نجم الدين الصلح بينهما واتفقوا وعاد فخر الدين الى بلاده ، ودخل نجم الدين الى خلاط واجتمع بالخاتون وشاه ارمن وولده قطب الدين ، وكان مقيما عندهم بأخلاط ، وأقام اياما ، وعرفهم انه لم يمكنه مخالفة ابن عمه ، ثم سار الى ماردين فعبر الى ميافارقين ، ووصل يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الأولى من السنة ، وبعد ايام قلائل وصلت الى اخلاط، وكنت انفصلت عن خدمة ملك الابخاز وخرجت من تفليس ، وقصدت ا

الروم ، واجتمعت بنظام الدين ياغي سيان بن الدانشمند ، وجهد ان اقيم عنده ، وما فعلت وعدت الى اخلاط وصادفت المالك نجم الدين قد سار الى ميافارقين ، فأقمت بأخلاط اياما وسرت الى الري فاجتزت بأرجيش وبركري ، وذوشهر ، وقطور ، وخوري ، ومزيد ، وتبريز ، وزنكتان والنهر ، واقمت بالري (٩٠) وزرت قبر الكسائي ومحمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ، وقبر الخواص رحمهم الله ، ثم عدت الى اخلاط على الطريق الذي مضيت فيه وعند عود المالك نجم الدين الى ميافارقين في جمادي الاولى .

ووقع الخلف بين ضياء الدين وبهاء الدين أولاد تاج الدين بن نباتة ، وعزلوا عن القضاء ، وولي محمد بن ابي يعلي الأسعردي ، وكان كاتبا على الضيع ، وولي بعد ذلك اشراف الوقف مدة ، ثم ولي القضاء يوم الاثنين حادي وعشرين جمادى الآخر سنة تسع واربعين وخمسمائة ، وكان للقضاء في يد بني نباتة تسع وخمسين سنة من حين مات القاضي ابو بكر بن صدقة سنة تسعين واربعمائة ، وولي القضاء ابو القاسم بن نباتة الى هذه السنة ، وأقام تاج الدين بعده بميافارقين أياما ، وخرج وصحبته بهاء الدين ابو طاهر ، فمضيا الى آمد ، فأكرمهما مؤيد الدين بن نيسان وأنزلهما وأحسن اليهما ، وفعل معهما كل جميل ، وولي محمد بن الكميت خطابة ميافارقين ، وكان لها من ايام سيف الدولة ابن حمدان في أول ايامه بأيدي هذا البيت لم يخطب بميافارقين سواهم لأنهم هم صنفوا الخطب التي لم يقدر احد على أن يأتي بمثلها ولا ببعض ما صنفه رجلهم الكبير خطيب الخطباء عبد الرحيم ابن نباتة .

وفي سنة تسع واربعين وخمسمائة ملك نور الدين دمشق وأخذها من مجير الدين بن طغتكين ، وكان قتل عطاء الخادم صاحب بعلبك ، فقتل زين الدولة بن الصوفي ، وخرج مؤيد الدين بن الصوفي الى صلخد ، وملك نور الدين دمشق وأقام بها ، وعاد مؤيد الدين

ابن الصوفي الى دمشق ، وبقي مدة ومات ، وسار مجير الدين وبقي في خدمة نور الدين مدة ، ثم وصل الى ميافارقين الى خدمة المالك نجم الدين ، وأقام عنده مدة ، ونزل في سنة خمسين الى بغداد ، وخدم مع الخليفة المقتفي ، وهو الآن مقيم ببغداد في خدمة المقتفي والمستنجد والمستضيء .

قيل ولم أر اعجب من سنة تسع واربعين وخمسمائة ولا أكثر من حوادثها ، منها : ماجرى بين أولاد تاج الدين وخروج القضاء عن ايديهم ، ومنها ان الأمير فخر الدين صاحب آنة نفذ خطب بنت عز الدين سلتق صاحب ارزن الروم ، وبقي مدة ثم زوجها أبوها من صاحب ارزن ،فنفذ شداد الى سلتق وقال :قد ضعفت عن آنة(٩١) فتحضر فتشتريها مني ، فما لي طاقة بالكرج ، ولا أقدر على دفعهم وأكون في خدمتك فأسلمها إليك ، فلما وصل نفذ الى ملك الأبخاز والكرج ديميطري ، وكان في جبل بازوي بينه وبين آنه مسيرة يوم أو أكثر ، يعلمه بوصول سلتق ، فوصل في عسكر الكرج ، فصبح مدينة آنة صباحا ، فأوقع بالعسكر وقتل منهم مقتله عظيمة ، وأسروا عز الدين سلتق واسر معه خلق عظيم ، واسر من المسلمين مالا يحصى ، وكان يوما على المسلمين عظيم ، ثم إن ملوك ديار بكر وديار ربيعة والشام راسلوا ملك الأبخاز وتواصلوا واستقر حال عز الدين سلتق على مائة الف دينار ، وأطلق وعاد الى بلاده ، وخرج من بلاده مال لايحصى لأنهم اشتروا الاسارى الذين كانوا أخذوا معه .

ومنها أخذ نور الدين دمشق وقلع أولاد اتابك طغتكين وكانت بايديهم مقدار خمسين سنة ،واقتراض بيت الصوفي(٩٢) ، وكان بيت مكرم .

ومنها ان صاحب صقلية قصد تنيس في اربعين مركبا ودخلها ونهب كل ماكان فيها وسبى أهلها أجمع واسرهم ، وابيع النهب في جميع الشام ، وبقي أكثر اهلها اسارى الى الآن بصقلية .

ومنها ان في سنة تسع واربعين جرى الخلف بأخلاط ، وخرج بهاء الدين الوزير وانفصل عن خدمة بيت سكمان والخاتون ، وابعد اهله اجمع وحبس اكثرهم ، وانهزم بهاء الدين اوس بن مسعود يطلب خوي ، فعبر على قلعة ذات الجوز شرقي اخلاط ، وبقي مدة ، وتوصل مؤيد الدين بن نيسان في خلاصه ، فأطلق ونزل الى ديار بكر ، وأقام بأسعرد ، ومضى الى فخر الدين قرا ارسلان ، وأقام عنده ، ثم حج وعاد الى حصن كيفا ، وأقام مدة ، ونزل الى الموصل ، وأقام بها مدة .

ومنها أن في سنة تسع وأربعين وقع الخلف بين بني الحدادي قضاة تبريز وترافعوا ، وجرى بين القاضي وأهله ما أوجب انهم عزلوا عن القضاة ، ووصل تاج الدين ولد نجم الدين الى مراغة ، فولي قضاء تبريز .

وفي سنة تسع وأربعين وصلت الى ميافارقين من الري على ماذكرته في شهر رمضان ،

وفي سنة خمسين ، في آخرها ، في شوال قبض الأمير شير باريك والحاجب ، وفي منتصف شعبان سنة خمسين عاد تاج الدين رحمه الله من آمد الى ماردين ، وولى القضاء وعاد الى ميافارقين ، وتخلف بهاء الدين بآمد عند مؤيد الدين ، وعزل محمد ابن أبي يعلى عن القضاء ، وأعطي بهاء الدين نظر الوقوف بآمد .

وفي سنة خمسين وخمسمائة ولي الزاهد ابن الطويل الوقوف بميافارقين ، وشرع في عمارة الجامع وتتمة القبة والجسر بأقرامان .

وفي ذي القعدة سنة خمسين ضرب نجم الدين الفلوس النجمية ، ووصلت الى ميافارقين وتعامل بها الناس .

وفي سنة خمسين وخمسمائة وثب القسوس بمدينة آنة وأخذوا

من الأمير فخر الدين شداد مذوجهر وسلمت الى أخيه الأمير فضلون ، وخرج الأمير شداد من تلك البلاد وطلب الشام ، وقصد أسد الدين شيركوه ، وكان أبوه شادي من أتباع هذا البيت ، وهو بيت قديم في هذا الطرف ، ويعرف ببيت ابن ابي الأساور بن مذوجهر ، وكان لهم جميع ولاية أران من جنزه ودرز وجميع البلاد التي حولهم وتزوج اليهم نصر الدولة بن مروان على ماذكرناه ، وأقام الأمير شداد في خدمة نور الدين مدة ، ثم وصل الى ماردين وقصد المالك نجم الدين فأكرمه وأحسن اليه وأعطاه اقطاعات في جملتها الحصن الجديد ببلد ميافارقين على حد السناسنة ، وأقام مدة ورجع الى بيت خاله بمدينة سرماري (٩٣) ، وأقام بها مدة واجتمعت به بميافارقين ، وكان اجتمعت به في ملكه بمدينة آنة لما نخلت الى تفليس ، وأحسن الي احسانا كثيرا في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

وفي سنة أحدى وخمسين وخمسمائة في غرة شعبان مات مؤيد الدين أبو علي بن نيسان بآمد ، وولي آمد ولده جمال الدولة أبو القاسم ، واستقل ولده عز الدولة بحصن أكل(٩٤) وماكان فيه من الخزائن والذخائر .

وعاد في هذه السنة بهاء الدين أبو طاهر بن نباتة من آمد ، وولي الخطابة بميافارقين .

وفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة تزوج زين الدين بالملكة زوجة حسام الدين .

وفي سنة احدى وخمسين وخمسمائة مات السلطان مسعود في بلد الروم ، وولي ولده الأكبر قليج ارسلان بعد أبيه ، واستقر في الملك ، وملك بلاد أبيه جميعها .

وفي سنة احدى وخمسين مات الملك ديميطري ملك الأبخاز ، وملك بعده ولده الأكبر داود ، وأطلق تركش بن أواني بن أبي الليث من

السجن ، وكان صاحب دماذس (٩٥) وكان شحنة ملك الأبخاز مدة ، وصعب ذلك على الأمير سنباطا من عساكر الكرج وعلى أولاده ، فيقال أن ابن سنباطا الأكبر سقاه ومات ، وولي بعده أخوه كركور ، وتلقب بلقب ابيه حسام المسيح ملك الملوك ، واستقر في الملك الى الآن .

وفي يوم الأربعاء غرة المحرم سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة عزل تاج الدين أبو سالم ابن نباتة عن القضاء ، وولي محمد بن أبي يعلى مرة ثانية .

وفيها قتل الشيخ سليمان بالجامع بأسعرد ، يوم الجمعة ، قتله الباطنية ، ودفن بمسجد الخضر عليه السلام بأسعرد .

وفي هذا اليوم عزل صارم الدولة أياطيش عن ولاية ميافارقين ، وولي الحاجب معين الدين كتيفش النجمي ، وكان استحضر من ولاية الصور ، فولي ميافارقين ، وسار بالناس أحسن سيرة ، وكف المفسدين وقمعهم ولم يقدر أحد أن يتجاوز معه الواجب في مدة ولايته ، وبقي متوليا وأقام تاج الدين رحمه الله أياما ، وخر - الى ماردين ، وكان قد تمرض وتعاق فلما فصل الى ماردين وأقام مرض واشتد مرضه ومات بماردين رضي الله عنه في بيت أخيه علم الدين ، وكان عنده من أولاده بهاء الدين أبو طاهر ، وشمس الدين أبو عبد الله ، ومات يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وحمل تابوته الى ميافارقين ، ووصل معه علم الدين والجماعة ، وصلى عليه شيخ الشيوخ أبو الحسن بن المحور ، ودفن في الأزج مع أبيه وأمه رضي الله عنهم .

وفي سنة اثنتين وخمسين مات القاضي أبو جعفر محمد بن أبي العلاء قاضي حصن كيفا ، وولي ولده القاضي شمس الدين ابراهيم موضعه في القضاء ، وفيها مات القاضي ناصر الدين بن الطيب قاضي

اسعرد ، وولي القضاء صدر الدين أبو علي ولد القاضي ضياء الدين قاضي اخلاط ، وفيها مات القاضي نور الدين وسطان ، وكان اماما عالما فاضلا من أصحاب الشيخ أبي اسحق الفيروز أبادي

وفي منتصف شعبان من هذه السنة تمت قبة الجامع ، وصلى فيها ليلة النصف جميع الناس .

وكان في المحرم سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة اجتمعت العساكر والسلطان محمد شاه بن محمود ومعه البغش ومسعود بلال ، وزين الدين من الموصل ، ونزلوا على بغداد وحاصروها ، وكانوا خلقا عظيما وبقوا مدة ، وأخرب زين الدين خان صلاح الدين وكان فوق البستان المعروفة بالرقة مقابل دار الخليفة على الشط ، ولم ير أحسن منها بنية ، ورحلوا عنها في جمادى الأولى من السنة .

وقيل كان قبل ذلك بمدة وصل الى بغداد السلطان سليمان شاه ابن محمد أخو مسعود ، وخلع عليه المقتفي ولقبه الملك المستجير واستحلفه ، وخرج بالعساكر واجتمع بألدكز وحضرت عساكر العراق اجمع من البطائح والبصرة ، فقصده السلطان محمد شاه ببلد باب نقجوان (٩٦) والتقوا هناك على نهر الرس (٩٧) واقتتلوا ، وكسر سليمان شاه وعادت العساكر الى العراق ، ونزل سليمان شاه على دربند القراملي فأسره زين الدين ، وبقي مدة بالموصل وأطلقه زين الدين ، ومضى يطلب أصفهان وخراسان ، فمات في الطريق ، وبقي الخليفة متوليا على حاله بالعراق .

وفي سنة اثنتين وخمسين كانت الزلازل بالشام ، وأخربت شيزر وحمص وحماة واكثر بلاد الشام ، وكانت في رجب ، وكانت بميافارقين مرتين : مرة قبل صلاة العصر ومرة بعد يومين قبل صلاة العصر ، وكانت أقل مما كان بالشام .

وفي شوال تاسع عشرة من السنة مات صلاح الدين محمد اليغيسياني بحمص .

وفي سنة اثنتين وخمسين وقع الخلاف بين الصاحب نجم الدين وفخر الدين قرا أرسلان ، ونزل على الشط بالأوسل ، وكان الصاحب نجم الدين بماردين ، ونفذ الى ميافارقين الحاجب شمس الدين سيونج ، ثم خرج الصاحب من ماردين ، فسار فخر الدين الى ولايته ، وسار نجم الدين الى جبل جور ، وخرج اليه شاه أرمن صاحب أخلاط بالعسكر لنصرته ، وسار بالعساكر الى ولاية فخر الدين ، وانهزم من بين ايديهم ، وتوسطوا بلاده ، ونهبوا وسبوا أهل تل خوم ، وكان التجأ اليها كل من في تلك الولاية ، وطلب فخر الدين جبل جور ، ودخل الى صحراء موش ، وكان نجم الدين قد نفذ الحشد الذي كان معه من أيام أبيه الى صحراء موش وضرب عليه ، وأخذه ونهب من بلد موش خمس قرايا ، ونزل في بدليس في قرب دربند بدليس الى أرزن ، وعبر الى حصن كيفا ، وعاد شاه أرمن من البلاد ونجم الدين الى ميافارقين ، وبقوا مدة واصطلحوا .

وفي سنة ثلاث وخمسين احترق سوق القبة بميافارقين ثانيا وفيها مات تاج العلماء الحصكفي بميافارقين ، وفي سنة اثنتين وخمسين مات الشيخ الزاهد علي التركي رحمه الله بجبل ميافارقين .

وفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ملكت الغز نيسابور بخراسان واخربتها وقتلت فيها خلقا عظيما ونهبتها ، وقتل الشيخ الامام محمد بن يحيى الفقيه ، وقتل جماعة من الفقهاء وكان يوما عظيما .

وفي سنة اربع وخمسين خرجت الروم الى الشام على بلدلاون (٩٨) واجتمعت العساكر مع نور الدين بباب حلب ، وخرج قطب الدين من الموصل ، وزين الدين الى باب نصيبين ، واقاموا

مدة ، ومات الامير عماد الدين ابو بكر الدبيسي هناك ، وملك اتابك ممدود الجزيرة ، وقيل إنه مات مسموما ، وفي هذه الايام مات جلال الملوك كبك بن بدر الدولة بماردين ، وحضرت امه ملكة خاتون بنت الملك رضوان من الموصل ، وكان تزوجها بعد السعيد حسام الدين الامير زين علي كوشك ، وبقيت اياما وعادت الى الموصل .

ثم سارت العساكر الى الشام ، واجتازوا بحران فحاصروها وملكوها ، وكانت لنصرة الدين اميران ولد اتابك زنكي ، وساروا الى حلب واجتمعوا بنور الدين ، وسمع ملك الروم ان عساكر الشرق قد وصلت ، وان الامراء من بني ارتق والتركمان قد اجتمعوا ، وان ابن الغازي قد حضر ، فوجم ملك الروم من ذلك ، لانه كان لبني ارتق الاسم الكبير ، ولهم من الروم والافرنج والروم المقامات القديمة من ايام ارتق ببيت المقدس ، وايام الغازي فنفذ ملك الروم رسولا الى نور الدين ، فجلس الصاحب نجم الدين للخطاب وسمع الرسالة ورد الجواب ، واسمع الرسول احسن جواب في الطف كلام ، فثبت في نفوسهم منه شيء عظيم اذ في نفوس الافرنج من هذا البيت الخوف والرعب من قديم الوقت ، فعاد ملك الروم ، وكان هذا الكلام سبب عوده .

وتفرقت العساكر ، وعاد نجم الدين الى ماردين ، وتوفي سعد الدولة التونتاش الحاجب بماردين ، والامير بالشام ، واقطع شمس الدين سيونج سميساط ، وجمال الدين صاحب حاني قلعة قلب ونواحيها ، وكانت اقطاع سعد الدولة ، واستقر شمس الدين سيونج في الحجبة وامارة العسكر .

ووصل الخبر ان يوم الاحد ثاني شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة مات الامام المقتفي لامر الله ببغداد رحمه الله ، وكانت ولايته اربع وعشرين سنة وثلاثة اشهر ونصف ، وصلى عليه ولده وولي عهده الامير ابو المظفر ، وكان عقد اليه في سنة اربع واربعين وخمسمائة بالخلافة بعده ، وبايع الناس للامير

ابو المظفر يوسف ، ويلقب بالمستنجد بالله صبيحة يوم مات ابـوه ، وبايعه الوزير والفقهاء والاكابر والامـراء ، وكان الوزير عز الدين ابن هبيرة ، وملك العراق بعد ابيه ، واستقر في الخلافة واحسن الى الناس ، واسقط المؤن والكلف وسائر الاعشار والبوائق التي كانت في العراق ، وقبض ابن المرخم ، واستنفد منه مـا كان اخـذه مـن الناس ورده اليهم ، وسلك بالناس احسن طريق ، ونفذ الرسـل الى جميع البـلاد فخـطب له في جميع الولايات ، ووصـل رسـوله الى الصاحب نجم الدين الى مـاردين ، ووصـل معـه الخلع والتشريف والمنشور بالبلاد ، ولبس نجـم الدين الخلعـة ، وقـرىء المنشـور بماردين ، وكان يوما مشهودا ، ووصـل منه خلعـة لشـمس الدين الحاجب .

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة مات الخليفـة الفـائز بـن الظافر بمصر ، والسلطان اذ ذاك الملك الصالح بن رزيك ، واجتمعوا وولوا صبيا صغيرا من الدار اسمه عبد الله ، ويكنى بـابي محمـد ويلقب بالعاضد ، وهو ابن يوسف بن عبد المجيد الحـافظ ، وابـوه احد الثلاثة الذين قتلهم عباس بعد الظافر ، واسـتقر في الخـلافة ، وهو الخليفة الرابع عشر من حيث ولوا هذا البيت ، لان كل خليفـة ولي علقت منطقته بقبلة الجامع ، وتكون منطقة الذين قبله مكشوفة ، ومنطقة الحي مغطاة ، فاذا مات وولي غيره كشفت وعلقـت منطقـة المولى مغطاة ، وكمل في الجامع مع هذه الى هذه السنة اربـع عشر منطقة ، وحدثني بهذا جماعة ممن سـافروا الى ديار مصر ، وبقـي العاضد في الخلافة واستقر ، والصالح السلطان بالبلاد .

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة مات السلطان سنجر بمرو ، ودفن بها ، وكان خلص مـن الغـز في سـنة (٩٩) ... وخمسين وخمسمائة . وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة مـات السـلطان محمد شاه بهمذان ، وبقي مدة ومـات اخـوه ملكشـاه بخـراسان والاهواز .

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة حج زين الدين علي كوشك ، ونزل الى بغداد ، ودخل الى الخليفة من باب البشرى ، وحمل له مالا كثيرا . وخلع عليه الخليفة ، وفيها حج اسد الدين شيركوه من دمشق على طريق خيبر وتيماء الى المدينة الى مكة ، وكان هذا الطريق له مدة لم يسلك ولم يحج فيه احد .

وفيها انتقل القاضي كمال الدين الى خدمة نور الدين ، واقام مدة ، واعطي قضاء دمشق وعزل القاضي ركن الدين ، وبقي مدة ، ورد اليه نور الدين امر دمشق من القضاء والوقوف والديوان والولاية وحصل الجميع تحت حكمه الى الان .

وفي شهر رمضان من السنة ولي ولده محي الدين ابو حامد بن محمد قضاء حلب وعزل ابن ابي جرادة وهو ابن العديم ، وولي شمس الدين ابو القاسم ابن اخيه قضاء حماه وعزل امين الدين بن جيش ، وبعد مدة عزل جعفر بن ابي هندي ، وولي حمص شرف الدين ابو المعالي بن شمس الدين ، وحصل الشام جميعة بحكم كمال الدين واهل بيته .

وفيها احترق سوق الباب بميافارقين اولا في سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة وصل صدر الدين نصر بن جبريل من اخلاط الى ميافارقين متوليا على الديوان وناظرا على ميافارقين ظاهرا وباطنا .

وفي يوم الخميس سادس عشر من صفر سنة ست وخمسين وخمسمائة وصل صدر الدين ابو علي الحسن بن معاذ قاضي اخلاط الى ميافارقين ، وتولى القضاء بها وخلع عليه جبة اطلس وعمامة وطيلسان ، ونزل الى الجامع والناس معه ، وعزل محمد بن ابي يعلى ، وكانت سفارة الخاتون انفذت احضرته من أسعرد ، وكان

قاضيا بها ، وولي قضاء اسعرد القاضي بدر الدين احمد القاضي ابا جعفر بن ابي العلي ، وفيها احترق سوق القبة ثالثا .

وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة وثب الاكراد الملية على قلعة شاتان(١٠٠) وملكوها ،وانصرف عنها الامير درباس الجوبي ، وكان من البيوت الكبار ، وانهزم الى الجزيرة وملك ومات في الطريق ، وحضر فخر الدين ارسلان وملكها واخربها ، ونازل حصن طالب (١٠١) وملكه في جمادى الآخرة .

وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة وثب القسوس بمدينة أنه على صاحبها الامير فضلون بن مذوجهر وانهزم ومضى الى قلعة تسمى بكران مجاور سر ماري وسلم القسوس أنه الى ملك الابخاز كركور وحضر وعساكره وملكها ونهب منها مالا عظيما ، وسبى جميع آل شداد وفضلون ، وفي شهر جمادى الاولى ولى ملك الابخاز فيها حاجبه سعدون وعاد الى تفليس .

وفي رجب من السنة اجتمعت العساكر جميعها من جميع اطراف شاه ارمن وعز الدين سلتق وفخر الدين صاحب ارزن وصاحب الفرس وسر ماري ، وساروا الى نهر الرس وخرج الصاحب نجم الدين يقصدهم ، فنزلوا على آنة في شعبان من السنة وناخوا عليها فقصدهم ملك كركور ملك الابخاز وكبسهم على باب انة ، ولما وصلت العساكر والملك انهزم الامير سلتق ، فانفصل عن المسلمين لانه كان ملك الابخاز ديميطري لما اسره ، كما ذكرنا واطلقه ، استحلفه انه لايضرب في وجهه بسيف ولا وجه اولاده ولا يلقى له عسكرا ولا أولاده ما عاش ، وطلب سلتق الفرس ، فلما انفصل الامير سلتق انهزمت العساكر من المسلمين ، ووقع فيهم السيف ، وقتل منهم خلقا عظيما وانهزم شاه ارمن من باب آنه وصاحب ارزن بفرسه ، واسر من المسلمين مالا يحصى ، ونهب بلد شاه ارمن وقتل اكثر اصحابه ، والمسعود من سلم من الواقعة ، واسر من المسلمين مقدار تسعة الاف فارس وراجل من عساكر بيت سكمان وغيرها ، واسر بدر

لدين اخو الخاتون صاحبة اخلاط لامهـا ، وخلقـا لايحصى ، وبلغ خبر الكسرة الصاحب نجم الدين ، وكان وصل الى ولاية مناز جرد ، فعاد ولم يجتمع بشـاه ارمـن ولاحضر الوقعـة ، ووصـل الى ميافارقين .

ونفذ الوزير جمال الدين وزير الموصل الى ملك الابخاز رسولا وشفع في الامير هلدري القرقطي صاحب اسباكرد وكان من اصحاب شـاه ارمن واسر في الوقت فاطلقه ، ونفذ خمسة الاف دينار واشترى بهـا اسارى من المسلمين ممن ليس له احد ولااهل ولا مـال ، واشـترى قوما حجازيين كانوا اسروا في الواقعة .

وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة وصل الخبر ان قاضي القضاة ابن الدامغاني عزل من القضاء ببغداد وولي قضاء القضـاة شـمس القضاة ابن الدقفي قاضي الكوفـة ، وبقـي مـدة ومـات وولي ولده موضعه ، وأخدما في الدفعتين مقدار خمسين ألف دينار آمرية .

وفي شهر رمضان سنة ست وخمسـين وخمسـمائة عصى كوجـا بالبارعيه وقابل نجم الدين بالعصيان فنزل العسكر عليهـا فقـاتلوا مدة ، ووصل الملك نجم الدين وشمس الدين الحـاجب وحـاصروها مدة ، ووصل ناصر الدين ولد فخر الدين قرا أرسلان ومعه عسكر ونازلوها مدة ، ونفذ فخر الدين وأقام عنده مـدة ، الى خـدمة نور الدين فأقام عنده وهو في خدمته الى الآن ، ومضى ودخل مـع أسـد الدين شيركوه الى مصر وأقام مدة وعاد الى خدمة نور الدين في سنة ست وستين وخمسمائة .

وفي ذي القعدة سنة ست وخمسين وخمسمائة كان ببعلبك اسارى من الأفرنج فوثبوا في بعلبـك فملكوها فقصـدها اسـد الدين شيركوه ، وتكاثر المسلمون عليها ، فاستنقذت منهم ، وانصرفـت الأفرنج بالأمان الى الساحل ، وفي ذي الحجة من السنة كسر شهاب الدين محمد بن الياس بن الغازي بن ارتق الأفـرنج كسرة عظيمـة

وقتل خلقا عظيما واسر البرنس وسلمه الى نور الدين ، وبقي في اسره ، وأسروا جماعة وجمعوا نهبا كثيرا .

وفي المحرم سنة سبع وخمسين وخمسمائة اتصل جمال الدين ابو القاسم بن نيسان الى أخت فخر الدين دولت شاه ابن صاحب ارزن ، وعبر القاضي ناصح الدين ، والامام أبو طاهر بن الجرجاني ، والقاضي علم الدين أبو الحسن بن البغل وجماعة الى ارزن ، وملكوا وعادوا ونزلوا بفندق خبق ، ولم يدخلوا المدينة ، وخرج اليهم القاضي صدر الدين والجماعة وعادوا الى آمد ، وفي جمادى الأولى عبرت العروس ومعها جماعة من أهل أرزن والحاجب أحمد بن الرغيهي ووصلت الى آمد خامس جمادى الأولى .

وفي صفر سنة سبع وخمسين مرض الصاحب نجم الدين - شفاه الله - بماردين ، ونفذ الأمير شير باريك والأمير خبق وجماعة من الأمراء الكبار الى أخلاط لاحضار ولده قطب الدين ايلغازي ، وكان مقيما بأخلاط عند خاله شاه ارمن والخاتون منذ كان له ثلاث أو أربع سنين ، ولم يمكناه من العود الى أبيه وأمه ، فعادت الرسل أجمع ، ولم يمكن من العود ، فنفذ وأرسلا آخرين ، فنفذ شاه أرمن جريدة ، فوصل سابع صفر الى ميافارقين وأقام يومين ، وسار الى ماردين ولقي الصاحب نجم الدين ، ومن الله عليه بالعافية ، وحصل ولي عهد ابيه ، فطابت قلوب الناس بتوليته .

وفي شهر ربيع الأول من السنة سلم قراقفجاق غلام أخواجا له قلعة الذال الى ابن حسان المنبجي ، وبقيت معه مدة وأعادها الى شمس الدين سيونج .

وفي سنة سبع وخمسين احترق سوق باب المدينة ثالثا ، وفي شهر رجب سنة سبع وخمسين وصل كتاب كمال الدين المهذب العراقي مشرف الديوان فسار الى اخلاط في رساله ، فوصل الى أخلاط

وأقام أياما ، وعاد من أخلاط فوصل الى درب بدليس ، فوقع فوق دير البيرة من على بعض الجسور الى الشط ، فوقع على صخرة فاندقت رقبته ، وكان وقوعه يوم الجمعة خامس شعبان ، وحمل الى دير البيرة ، وفيه نفس فمات فحمل ودفن في صحراء مسجد اويس ، ثم حمل الى ماردين بعد مدة ، وترتب في الاشراف الكمال البغدادي ثم العبدي .

وفي شهر شعبان من السنة أغارت الكرج على مدينة دوين (١٠٢) ودخلت اليها ونهبوا جميع ماكان فيها ، وقتلوا خلقا عظيما واسروا من المسلمين خلقا لايحصى ، ونقضوا المنارة التي كان بناها قوتي بن الأحدب من جماجم الكرج في وقعة أوقع بهم ، وأخربوا المساجد وأكثر الدور وعادوا الى تفليس ، والأسارى على العجل ، وغنموا غنائما لاتحصى .

وفي العشر الآخر من شوال من السنة كان بالشام زلازل كثيرة متواترة وخرب من حلب مقدار سبعمائة دار ، وخرب أكثر الساحل ، وخرب بعض جبلة وجبيل ، وماكان بقي من شيزر وبعض حمص وبعض حماة وأكثر الشام وتشعث .

وكان في شهر ربيع الآخر من السنة تزوج ناصر الدين ولد فخر الدين قرا أرسلان بنت فخر الدين دولت شاه وصاحب أرزن ودخل بها .

وفي سلخ جمادى الآخر من سنة ثمان وخمسين نزل فخر الدين قرا أرسلان على آمد وخيم عليها في عسكر عظيم ، ونزل اليه شمس الدين سيونج بعسكر الصاحب نجم الدين ، وحوصرت وضيقوا عليها مدة ، ونصب عليها برجا عمله له رجل مغربي ، فأخرج جمال الدولة جماعة من أهلها من اليهود والنصارى فسباهم فخر الدين وباعهم ، واقتتلوا عليها قتالا عظيما ، وبقي القتال والحصار والعساكر عليها .

وفي شهر رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة قبض اتابك قطب الدين ممدود بن زنكي بسفارة زين الدين على الوزير جمال الدين بن ابي جعفر محمد بن علي الأصفهاني ، وحبس في قلعة الموصل ، ولم ير الناس من عهد البرامكة مثل كرمه وعطائه ، وكان أول زمانه وخدمته أتابك زنكي يلي اشراف الديوان ، وكان معه من الظلم والجور مالا يرى الناس مثله ، فلما ولي أتابك سيف الدين غازي وولي الوزارة انتقل من الشر الى الخير ، ومن الظلم الى العدل ، ومن الجور الى الانصاف ، ومن البخل الى الكرم ، وأظهر من الكرم وفعل الخير والصدق والعطيات والصلات مالم يعتمده أحد في هذا الزمان ، ونفذ مالا كثيرا الى مدينة الرسول فبناها وبنى سورها ، وبنى ماكان خرب بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبنى في المدينة مواضع كثيرة ، وبنى بمكة ماخرب من الحرم ومواضع كثيرة من الحرم ، وعمل جبل عرفات ، وعمل الدرج فيه من أسفله الى رأسه من جميع جوانبه وكبس (١٠٣) اليه الماء من موضع بعيد وساقه الى تحت الجبل موضع منزل وعمل الأنابيب والأحواض برسم الحاج ، وكان يحمل كل سنة الى مكة والمدينة من الأموال والكسوة والنفقات للضعفاء والمساكين والمنقطعين لأهل هذين الموضعين مايقوم بهم مدة السنة ، وكان ينفذ للمجاورين المقيمين بمكة والمدينة كل سنة مايحتاجون اليه ، وكان له السبيل برسم سقي الحاج والمنقطعين وسقي الماء في الطريق وحمل من ينقطع من الضعفاء والرجاله ، وليس بلد من البلاد يمضي اليه من المسافرين من أهله الا يعطيهم ويجزيهم ويثبت ذلك في دستور عنده ، ويبقى ذلك رسما لهم في كل سنة يمضون يجدونه ، وقصده من أهل بغداد والعجم خلق عظيم من الاكابر والاولاد والوزراء والكتاب ارباب المناصب والاشراف ويعطيهم ويجريهم ، وحضر عنده ناس كثر من اهل اصفهان فاعطاهم وزاد العطية ، ونفذ الى مدينة القرنين سبعة الاف دينار وبنى سورها وكان انهدم وكانت مناخة الكرج ، ونفذ رسولا الى ملك الابخاز وسأله ان يبني بيمارستان في مدينة تفليس برسم المسلمين والمرضى والضعفاء بها ، فقال ملك الابخاز : انا ابني ذلك

من مالي ، ومرض الملك بعد مدة ومات ، وكان في كل سنة يبعث الى الشام ويشتري من الافرنج اسارى المسلمين ، ونفذ عند وقعة الكرج بشاه ارمن واشترى جماعة من الابخازي وخلص الامير هلدري ، وقد ذكرنا ذلك ، وغرم على جسر الياريار بين الجزيرة وفنك مالا عظيما ، وعقد اربع عينات احسن بنيه ، وبنى في نصيبين البيمارستان واوقف عليه الوقف ، وحصل فيه الحوائج والادوية ورتب الاطباء ، وحصل ينفق عليه في كل سنة شيئا كثيرا ، وجدد بالموصل ونصيبين المكتب برسم الايتام ، وجعل نفقاتهم وكسوتهم واجارة المعلم من ماله ، وبنى الجسر بباب الموصل عند باب الحصاة احسن بنية ، وجدد من الربض والمصالح ماليس بقليل ، وشرع في بناء جسر البافتاه على دجلة تحت الجزيرة ، وغرم عليه مالا عظيما ، ولم يبق فيه غير العينة الوسطى ، وقبض ولم يتم ، وكان كل يوم على باب داره من الضعفاء والمساكين خلق كثير ، وكان كل يوم يمضي وقد اخذ اما قليلا واما كثيرا ، ولما قبض جرى من المساكين والضعفاء من البكاء والاسف والحزن ما لايوصف ، وبقي في السجن الى العشر الاخر من شهر رمضان سنة تسعة وخمسين وخمسمائة ، ومات رحمة الله عليه ، وصلي عليه بالموصل ، وكان يوما عظيما من ضجيج الفقراء والمساكين والايتام حول جنازته بحيث انه لم يسمع بمثل ذلك اليوم ، ودفن بالموصل مدة الى سنة ستين وخمسمائة ، وحمل الى مكة ، وطافوا بتابوته حول البيت ، وحضر كل من بمكة وضجوا حول جنازته ، وحمل الى المدينة ، ودفن بالمدينة بعد ان طافوا به حول قبة الرسول وحضر كل من في المدينة ، ولم يحمل الى مكة والمدينة في هذا الزمان من مقدار مائة وخمسين سنة غير رامش الخادم التاجر ، وصاحب عون ، واخي الملك الصالح بن رزيك سلطان مصر ، وهذا جمال الدين الوزير ، وغره اليمن ، ولم يكن مثل جمال الدين وكرمه في هذا الزمان .

وفي يوم الاربعاء تاسع شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة كسر شاه ارمن والسلطان ارسلان شاه بن طغريل وشمس الدين الدكز وفخر الدين صاحب ارزن ملك الابخاز والكرج

كسرة عظيمة ودخلوا الى حصن ارزن ، وكانت الوقعة هناك ، وكسروا اقبح كسرة ، وغنم منهم من الاموال مالا يوصف ولايحصى ، واخذ اصطبل الملك وكانت معالفه فضة ، واخذ الشراب خاناه وما كان فيه ، واخذت الدنان الفضة التي كانت فيه ، واحضر الدن الواحد بين يدى السلطان ، وكان الدن ورفيقه يحملان على عجلة ، فنفذه السلطان واذفذ من الغنيمةمقدار الفي دينار يشتري بها ، وحمل شربات ذهب وفضة وحمل الجميع الى جامع همذان للسبيل برسم شرب الماء ، واخذ التركمان الدن الاخر ، وقطعوه ، ونهبوا منهم نهبا عظيما وقتلوا خلقا كثيرا ، وانهزم ملك الابخاز الى غيضه عظيمة فيها خشب الصنوبر مسيرة ثلاثة ايام لايقع على احد فيها الشمس الا نادرا ، ولقد رأيت موضع الوقعة في هذه الغيضة لما كنت في خدمة ملك الابخاز في سنة تسع واربعين ، واخذ شاه ارمن ثلاثة جمال ، كان احدهم فيه انية ذهب وفضة ، والثاني كان عليه بيعة الملك فيه صلبانا ذهب وفضة مرصعة باذواع الجواهر ، وفيه اناجيل مصورة بالذهب مرصعة بالجواهر لايعرف قيمتها ولايؤخذ مثلها ، والثالث عليه خزانة الملك من ذهب وفضة وجوهر ما لايقوم بعضه كثرة ، بحيث انه قيل ان كتاب اخلاط بديوانها قوموا ما وصل الى شاه ارمن ، وكان مثل ما اخذ منه على باب انه عندما كسر ثلاثين ضعفا ، ولقد سمعت هذا من جماعة كثيرة من اهل اخلاط ممن كان بالواقعة ، وكنت اذ ذاك ببدليس ، ويوم وصل المبشر الى اخلاط بالكسرة كنت باخلاط وجماعة من الفارقية ، وكان يوما عظيما بحيث انه ذبح من البقر بعد يومين مقدار ثلاثمائة رأس وفرق لحمها على المساكين والضعفاء ، وبعد ايام وصل شاه ارمن الى اخلاط واظهروا فيها كل شيء لايرى مثله من الاموال والتجمل ، ووصل صاحب بدليس اليها وزين البلد لقدومه في اول شهر رمضان ، وكنت ببدليس وكان فخر الدين قرا ارسلان هذه المدة جميعها محاصرا لآمد الى ثاني عشرين شوال سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكان سبب ذلك ان يعقوب ارسلان ابن الدانشمند قصد ولاية خرتبرت ونهبها ونهب ولاية شمشكازاك(١٠٤) وتوسط البلاد واخربها ، فرحل فخر الدين عن آمد يطلبه ، وخرج

المالك نجم الدين وسار اليه ، وأخبر فخر الدين صاحب ارزن وساروا جميعهم الى خرتبرت وراسلوا يعقوب ارسلان واقاموا هناك مدة ، وعاد يعقوب ارسلان الى بلاده ، وعاد المالك نجم الدين الى ميافارقين واقام بها الى ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، ووصله فخر الدين سنقر بن الب قرا أرسلان رسولا من الخليفة المستنجد ، وخرج اهل البلد فلقوه ، ونزل بالربض وبات ليلة ، واصبح فخرج الامير الى لقائه ، ولقيه بالميدان ، ولقي شمس الدين الحاجب ، ودخل المدينة ، ونزل في دار العجمية واجتمعت به ، واخبر ان مؤيد الدين سديد الدولة ابا عبد الله محمد بن عبد الكريم بن الانباري توفي ببغداد في شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وصلى عليه الخليفة المستنجد بنفسه اماما ، فانهم احضروا التابوت الى الجامع الى المقصورة وحضر الخليفة وصلى عليه ، وصلى الناس عليه بامامته ، وكان يوما مشهودا ببغداد ودفن في مقابر قريش عند الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ، ورضي الله عنه ، وترتب ولده شمس الدين شرف الدولة ابو الفرج في موضعه في ديوان الانشاء بديوان الخلافة .

وفي غرة المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وقع الخلف بين ناصر الدولة محمود بن ظفر خان وبين الارمن بالسناسنة ، وكان له قلعة فنيزاثا ، واغار عليهم ونهبهم نهبا عظيما ، وسبى مماليكا كثيرة ، ونهبت ارتحوا واحرقت ، ووصلت خيله واغارت رجاله على مواضع من بلاد الارمن من لم تصل اليه الغازية من اول الزمان والاسلام ولازم الغارة عليهم كل اسبوع ، وبقي يجد في طلبهم وقلعهم .

وفي شهر رمضان ، في اوله ، سار الصاحب نجم الدين الى ماردين ، وقصد جسر اقرامان وبات هناك واصبح وسار الى اوسل الهينة ، وبات ونفذ احضر الطشتي الى معز الدين الوالي بميافارقين ، وامره بالقبض على الحاجب شمس الدين ، وكان تخلف بعد الامير بميافارقين فقبض في رابع المحرم واعتقل بالقصر ،

وحمل كل ما كان في داره الى ماردين : الدواب والقماش والخزانة ، وبعد ايام ولي الحاجب صلاح الدين زكري بن يوسف ينال الحجبة الصاحب نجم الدين ، وردت الامور اليه .

وفي ثاني عشرين رجب من سنة تسع وخمسين وخمسمائة مات ناصر الدين ولد فخر الدين قرا ارسلان بحصن كيفا ، وكان اكبر اولاده ، ونال فخر الدين عليه امرا لايوصف ، وحضرت الخاتون وقطب الدين وكهار خاتون وشير باريك ، واكابر الدولة ، ولقد حدثني جملة من الثقات من أرباب دولة فخر الدين انه في هذه السنة وماقبلها منذ نزل فخر الدين على آمد الى بعض سنة تسع وخمسين وخمسمائة مات من أولاد فخر الدين سبعة أولاد ما فيهم غير بنت واحدة مع ابن لهذا ناصر الدين ، ومات قبل ابيه بمدة .

وفي الخميس غرة جمادى من السنة مات القاضي ناصح الدين ابو عبد الله الحسن بن محمد بن وهبان بأرزن ، وولي قضاء أرزن صارم الدين حسن ابن اخيه ، وولي قضاء بدليس المؤيد أبو طاهر عبد الله بن الخطيب ، وصلي عليه يوم الجمعة بميافارقين .

وفي شهر ربيع الاول وصل الخبر أنه احترق بسوق اخلاط مقدار سبعين حانوتا وبيوتا كثيرة ، واحترق كل ما فيها من المال والقماش .

وفي ثاني شهر ربيع الاول من السنة ابتدي في نقض البرج المعروف ببرج اريق بتولي الزاهد قراقوش الحسامي ، وكمل نقضه في مدة شهر ونصف ، وابتدي في عمارته في يوم الاربعاء خامس جمادى الاخر وكملت عمارته جميعها واذفق العمارة يوم السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وكانت مدة العمل ، غير النقض ، مدته ستة اشهر وثلاثة وعشرين يوما ، ولم يعمر مثله قط في مثل هذه المدة اليسيرة ، وجاء احسن بنية ، وذلك

بسعادة المالك نجم الدين ، وهمة ياقوت الحسامي ، فقد اجتهد في العمل وبالغ في ذلك .

وفي شهر ربيع الاخر سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، مات الشيخ حجة الدين مروز رحمه الله بقرية من ولاية حصن طالب كرم الروذ ، وكان ضر ، وكان تسمى فقيها عالما فاضلا ، وكان في سادس نيسان في اول سنة تسع وخمسين ، خرج امير الجيوش شاور سلطان مصر الى نور الدين ، ولقيه فاجتمع به ، واقام عنده وتحدث معه واكرمه ونزل في جوسق معز الدولة ، ظاهر دمشق تحت القلعة ، واطمعه في مصر ، فتجرد اسد الدين شيركوه في ثمانية الاف فارس ، خيار العسكر ، وسار ليدخل مصر ، فخرجت الافرنج عليهم في الطريق ، واقتتلوا قتالا شديدا ، وقتل جماعة من الافرنج ، ودخلوا الى بلد مصر فملك اسد الدين شيركوه ولاية العريش ، ومدينة بلبيس ، وهي مدينة صغيرة من اول ولاية مصر ، واقام بها وراسل اهل مصر ، فخرج امير الجيوش الذي ولي موضع شاور وكان اسمه ضرغام ، ومعه عسكر ، فلقوا اسد الدين فكسرهم وعادوا فجمعوا فكسرهم مرارا ، ثم ان اهل مصر نفذوا الى شاور ليعود فلم يفعل ، فنفذوا الى الافرنج فارغبوهم وجاءوا ، ولقوا اسد الدين فكسرهم ونهبهم ونهب اموالهم ، وعاد الى بلبيس واقام بها وحصل كل بها مقيما ثلاثة وتسعين يوما ، وقتل الضرغام ، وصالح رابع ذي الحجة ، وحصل كل أيام قلائل يلقاه الافرنج ويكسرهم ، فنفذ اهل مصر الى شاور وطيبوا قلبه ، وحلفوا له ، فعاد وولي السلطنة بمصر واستبد بها ، فنفذ الى اسد الدين وقال له : تعود من حيث جئت ، ونفذ اليه شاور ولده فقتله ، وعاد فخرج شاور بعسكر مصر ، فلقوه فكسرهم ، فلقد سمعت من جماعة أن أسد الدين لقي الافرنج واهل مصر في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ستة وثلاثين مرة وهو مقيم ببلبيس وجميعها ينصر أسد الدين عليهم .

ثم انه عاد الى الشام ، وبقي مدة ، ودخل ثانيا في العشر الثاني من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وخمسمائة وقيل رابعة ،

وهو الصحيح ، واخذ معه أجود العسكر ، وسار ودخل ولقي الافرنج فكسرهم ، وسار الى ولاية مصر فدخل اليها ، وجاءت الفرنج الى مصر واجتمعوا فلقوا أسد الدين فكسرهم ، ومضى نزل اسكندرية وحاصرها ، واجتمعت الافرنج بأهل مصر وضايقوا عليه ، واخذوا عليه الطرق ، فنفذ صلاح الدين بن نجم الدين الى الافرنج ، وقال : اتخذوا عندنا يدا وافتحوا لنا الطريق فقالوا : نحن بامركم اعبروا بالامان ، فرحل اسد الدين واصحابه ، وساروا في بلاد الافرنج امنين ونفذوا لهم العلوفة والاقامة في جميع بلادهم ، وخرجوا من الساحل الى الشام سالمين .

وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة في جمادى الاول دخلت الكرج مدينة آنة واخلوها ، ووصل شمس الدين الدكز وملكها ، واقام بها اياما ، وعاد اليها بعض من بعد عنها ، وشرع في عمارتها ، وانصرف شمس الدين الدكز الى باب مدينة جنزى ، وعزم على لقاء الكرج ، وفي هذه السنة اوقع الامير ابراهيم صاحب سرماري بالكرج وقعة عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا ، واسر جماعة من كبرائهم ، وفي اخر السنة سلم شمس الدين الدكز آنة الى الامير شاهنشاه اخو الامير شداد وفضلون الذين كانوا اصحابها من اولاد مذوجهر .

وكان الامير نصرة الدين اميران بن اتابك زنكي لما اخذت حران وصل الى حصن اخلاط واقام عند ابن نيسان مدة ، ثم سار الى الروم ، ودخل الى السلطان قليج ارسلان واقام عنده مدة ، ثم انه عاد الى الساحل وجيش الافرنج على المسلمين في هذه السنة .

ووصل الخبر ان في هذه السنة في جمادى الاخرة سابع عشرة كبست الافرنج نور الدين على رأس الماء ، وقتل من المسلمين ، وقتل اخو مجد الدين صاحب حلب ، وقتل الامير يونس الذي كان في خدمة الحاجب شمس الدين ، وكان انهزم من ماردين قبل قبض شمس الدين ، ومضى الى خدمة نور الدين ، وقتل في هذا اليوم ، وقيل اسر

وقتل ، وقتل واسر جماعة من الامـراء الكبـار وقصـدوا نور الدين واحاطوا به ، فحامى عنه شهاب الدين محمد بـن اياس بـن ارتـق ومعه جماعة ، وخرج شـهاب الدين وثبـت الى ان خلص نور الدين وكانت وقعة عظيمة ، وبعد مدة سار اتـابك قـطب الدين وزين الدين وعساكر ديار ربيعة الى الشام الى نصرة نور الدين .

وفي الاربعاء ثاني عشر جمادى الاخـر وصـل فخـر الدين قـرا ارسلان الى قلعة ماردين واجتمع بالصاحب نجم الدين .

وفي الخميس ثالث عشره ماتت كهارخاتون رضي الله عنها ، وشـهد فخر الدين موتها ودفنت بالمشهد في التربة ، واقام فخر الدين ثـلاثة ايام ، وقرر مع الصـاحب نجـم الدين المسـير الى ولاية يعقـوب وقصده ، ثم سار الى حصن كيفا ، وخرج نجم الدين الى شـاطىء دجلة واجتمعا وسارا الى خرتبرت ، ولحقهم فخـر الدين صـاحب ارزن ، وساروا فعبروا الفرات الى ملطية ، ونهبـوا بعض بلدهـا ، فلما سمع يعقوب ارسلان بوصولهم انهزم من بين ايديهم الى اقصى بلاده ، وساروا الى ان بقي بينهم وبين سيواس القليل ، فـوصلهم رسول من نور الدين ومن زين الدين يدعوهم الى الغزاة ، ويقـول : ان الافرنج قد خرجت وانتم المسلمون يقاتل بعضكم بعضا ، ثم دخل بينهم في الصلح ، فاصطلحوا واعادوا اليه البلاد جميعا على جميع ماارادوا منه واختـاروا ، ودخـل تحـت حـكمهم ، وعادوا الى خرتبرت ، فسار فخر الدين بعسكره ومن كان معه الى الشـام الى الغزاة ، وعاد الملك نجم الدين الى البـلاد في اخـر شـعبان ، ونزل بقصر الشيبانية من ولاية ماردين ، وصام هناك شهر رمضان ، لانه موضع فيه الماء البارد والمروج والهواء الصحيح .

واما فخر الدين قرا ارسلان فانه سار الى الشام ، فصادف نور الدين والعساكر نزولا على قلعة حارم وهـم محـاصروها ، فـاقام عندهم اياما ، وعاد نصرة الدين اميران الى خدمة اخيه نور الدين ،

فاقاموا الى سابع عشرين شعبان ، وكان يوم الاربعاء سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، واغارت الافرنج وكبسوا المسلمين واقتتلوا قتالا عظيما وانهزموا حتى اشرفوا على الهلاك ، ثم عاد زين الدين وعسكر الموصل وثبتوا ، وعادت العساكر وفخر الدين ، واعطاهم الله النصر ، فعادوا على الافرنج فكسروهم ، وقتلوا خلقا عظيما مقدار ثمانية الاف واسروا مثلها ، وكانت الواقعة في موضع يسمى عم (١٠٥) من ارض ، الشام ، بين صلاة العصر والظهر ، ولم ير مثل هذه الواقعة منذ سنين ، واسروا صاحب طرابلس وصاحب انطاكية ، وصاحب حصن الاكراد والفطرك الاكبر ، الواصل الى الافرنج من ملك الروم ، وكان فتحا عظيما ، ولم ير الناس مثله منذ ملكت الافرنج الساحل ، وملكوا قلعة حارم ، وعادوا بالاسلاب والغنائم ، وبعد الكسرة انفصل فخر الدين وعاد الى خرتبرت ومعه الاسلاب والاسارى والغنيمة ، وقد قتل من عسكره جماعة من الاكراد .

وفتح المسلمون دير سمعان ، ونهب كل ماكان فيه ، ولم يذكر احد انه فتح منذ اول الاسلام ، واقام عسكر الموصل وزين الدين اياما بعد الكسرة ، وعادوا الى الموصل .

وفي العشر الثاني من شهر رمضان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة مات يعقوب ارسلان ودفن بسيواس ، وملك موضعه الامير اسماعيل بن ابراهيم بن الملك محمد بن غازي ابن الدانشمند ، وهو ابن ستة عشر سنة ، وعاد فخر الدين الى حصن كيفا اخر السنة .

وفي الخميس حادي عشر ذي الحجة وصل ولد فخر الدين ومعه الامير محمد بن عز الدين من الاقامة والضيافة والنزل شيئا كثيرا ، فمن غدوة ذلك اليوم ساروا الى حصن كيفا ، ويوم الاحد خامس محرم سنة ستين وخمسمائة وصل المالك نجم الدين وجمال الدين والجماعة الى ميافارقين ، وباتوا ليلتهم ، ويوم الاثنين سادسه

وصل الملك قطب الدين والخاتون بعد الظهر ، واقاموا الى يوم الجمعة عاشر المحرم ، وخرجوا الى اقرامان للقاء الخاتون صاحبة اخلاط ، ودخلوا الى المدينة يوم الثلاثاء رابع عشر المحرم ، وكان يوما مشهودا ، ودخلت بالتجمل والجنائب والسجوف والمراكب ، واحسن زي واكمله ، واخبروا ان صفي الدين ابا البركات رشيق الصوفي بخلاط توفي بها في رابع المحرم من السنة ، واقاموا الى سادس عشر المحرم ، وساروا الى حصن كيفا لاحضار العروس بنت فخر الدين قرا ارسلان للمولى قطب الدين ايل غازي بن المالك نجم الدين ، وسارت الخاتون بين صمصام الدين وقطب الدين وسيف الدين شيرباريك واكابر الدولة واعيانها من النساء والرجال ، وتخلفت خاتون اخلاط بقصر ميافارقين الى ان وصلوا ، وكان وصولهم يوم الجمعة سابع عشرين المحرم سنة ستين وخمسمائة ، وحضرت معهم العروس واخوها نور الدين ولد فخر الدين ومعهم أكابر دولة فخر الدين ووصل معها من الجهاز مالا يحصى ، ووصل الحاجب كوجي والحاجب ياغي ، وعز الدولة ابن نيسان ، ودخلوا بعد العصر وكان يوما مشهودا بحيث انه لم ير مثله اهل ميافارقين ، ونزلوا دار ابن موسك ، ومن غدوه عمل في القصر السماط اربعة ايام متوالية ، وبعد ذلك عملت خاتون اخلاط السماط سماطا عظيما ، وخلعت على اكابر الدولتين من الخلع مالا ينحصر ، ولم يبق احد من الحاشية والامارة والحجاب الا وخلع عليهم .

وفي الاثنين رابع صفر سارت خاتون اخلاط على طريق جبل جور ، وخرج الامير والجماعة لوداعها ، وفيه سار ولد فخر الدين واصحابه بعد ان خلع عليهم والخاتون خلعا كثيرة ، وفيها سار جمال الدولة ابو الحسن محمد بن نيسان الى آمد وخلع عليه وعلى اصحابه ، واقام الامير واصحابه ومكث الجميع بميافارقين خمسة وثلاثين يوما غير اليوم الذي ساروا فيه ، ولما عادت خاتون اخلاط الى اخلاط امرت ببناء جميع الجسورة التي كانت بدرب بدليس بالكاس والحجر ،

وكانت جميعها بالاخشاب مطروحة عليها ، فعمرت وغرمت عليها مالا عظيما ، وعملت جميع طريق درب بدليس من مسجد اويس الى بدليس ، وكانت عدتهاتسع مواضع فيها تسع جسورة ، وعملت عاقبة تحت بدليس عملا لايرى مثله ، وبنت تحتها جسرا وجعلت في الجسر من جانبه فندقا عجيبا بحيث يبيت فيه مقدار ثلاثمائة دابة بأحمالها واصحابها ، فلقد اثرت في هذا الطريق من الخير لم يعمل احد مثله .

وفي صفر من السنة وصل الخبر ان اسد الدين شيركوه عاد الى الشام من مصر وتلف اكثر عسكره ، ووصل في ذفريسير .

وفي الاحد رابع عشر صفر تزوج الامير صمصام الدين يعقوب بن سليمان بن داود بكوج خاتون بنت شهر باريك .

وفي الجمعة غرة شهر ربيع الاول وصل جماعة من الحاج واخبروا انهم في هذه السنة ماوصلوا الى مدينة الرسول عليه السلام لأنه وقع الموت في الجمال ، وغلا عليهم السعر .

وفي ليلة الاثنين منتصف شهر ربيع الاول توفي الامير سيف الدين بن داود بطنزى (١٠٦) ، وسار جمال الدين من حاني الى العزاء الى حصن كيفا ، واقام اياما ، وعاد وصحبته اخته هدية خاتون ، وبات بالربض ، وسار الى حاني

وفي شهر ربيع الاخر سنة ستين مات المقدم الزعفراني ، وكان في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الاول مات نصرة الدين اميران بن اتابك زنكي بحصن كيفا عند فخر الدين ، فانه كان وصل اليه على سبيل الغضب على اخيه نور الدين ، واحسن اليه فخر الدين ، وكان له جنازة عظيمة مشهورة ، بحيث نزل فخر الدين وتبعها راجلا وجميع اهل دولته ودفن بحصن كيفا .

ووصل الخبر ان في ثاني شهر ربيع الاخر من السنة توفي الشيخ الامام جمال الاسلام ابو القاسم بن البرازي الفقيه بالجزيرة رحمه الله ، وكان فقيها عالما فاضلا لم يكن مثله ، ووصل الخبر ان امين الدولة ابو الحسن بن التلميذ الطبيب ، توفي ببغداد ، وكان نصرانيا ، وقد جمع من سائر العلوم مالم يجمع في غيره ، وكان موته يوم صوم النصارى ، ولم يبق من الجاذبين من لم يحضر البيعة ، وشهد جنازته.

وفي جمادى الاول وصل الآمدية في خدمة فخر الدين ، وعبر القاضي ناصح الدين قاضي آمد الى حصن كيفا وقرر الصلح ، وحلف لهم فخر الدين وصاروا من جملته .

وفي جمادى الاخرة ولى النفيس بن مخطر ابن عم المؤيد ولده شمس الدولة خدمة الخاتون ، وقطب الدين ولد الصاحب .

وفي شهر رجب وصل تميم بن عادل عميدا بميافارقين ، وعزل المهذب بن سالم ، ووصل ابو الوفاء بن المهذب بن حيان مشرفا على الديوان ، ووصل الزكي حسن بن زيد محتسبا ، وعزل حسين بن ابي يعلى عن الحسبة .

وفي رجب وصل الخبر ان الوزير عون الدين بن هبيرة توفي ببغداد رحمه الله في جمادى الاولى ، وجلس قاضي القضاة ابن الدقفي يذوب في الوزارة ، وفي العشرين من شهر رمضان سار القاضي صدر الدين ابو علي الحسن بن مسعود الى الموصل ليسير صحبة عمه بهاء الدين اوس الى مكة .

وفي ذي القعدة من السنة عبر قطب الدين ، ومعه الحاجب زكري الى خلاط ، واقاما اياما الى ثالث عشر ذي الحجة ، وعادوا الى ماردين .

وفي ذي الحجة والمحرم وصفر سنة احدى وستين وخمسمائة كان

بالشام موت عظيم ووباء على اكثر البلاد بحيث قيل انه مات من سلمية وبلدها مقدر عشرة الاف نفس ، وخرب اكثر الضياع من بلد حماه وحمص الى دمشق .

وفي ثاني عشر صفر سنة احدى وستين وخمسمائة مات الامير محمود بن طرخان بميافارقين بدار العجمية ، ودفن عند قبة سوار على طريق ارزن ، وكان رحمه الله قد وصل من غزو السناسنة والارمن وقتل وغنم ، وكان له فيهم وقعات جماعة ، وبعد ايام اعطي حصن ماناثا متاخم السناسنة ، وعين لبدر الدين زين الحجاب ابي منصور بن ابي صالح .

وفي سلخ صفر وصل ابراهيم بن الحاج الماردي عميدا على ميافارقين ، وعزل تميم بن عادل ، وفي سابع شهر ربيع الاول وصل صدر الدين من الحجاز سالما ، واخبر ان عمه بهاء الدين اوس جاور مكة ، وأخبر أن تابوت جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني رحمه الله حمل معهم الى مكة ، وصعدوا به الى جبل عرفات ودخلوا به مكة واطافوا به حول الكعبة في كل يوم مرارا عدة مدة مقامهم بمكة ، وحمل معهم الى المدينة ، وطافوا به حول قبة الرسول صلوات الله عليه ، ودفن بالبقيع عند الصحابة رضي الله عنهم وعنه ، وحكي ان يوم وصوله الى مكة كان يوما مشهودا بحيث كانوا يطوفون بالتابوت حول الكعبة لم يوجد لاحد موضع يضع قدمه ، وأهل مكة يضجون ويبكون بحيث لم يسمع بمثل ذلك وكذلك عندما وصل المدينة ، ولقد سمعت من جماعة ممن يتردد الى مكة وممن هو من اهل مكة انهم اتفقوا انه لم يحمل الى مكة ميت منذ اول الزمان غير رامش الخادم ، وصاحب عمان ، وملكة عدن وهي الحرة ، وابن رزيك اخو الملك الصالح الذي كان سلطان مصر في ايام الفائز ، وهذا جمال الدين وزير الموصل رحمه الله ورضي عنه وعنهم .

وفي شهر ربيع الاول مات عز الدين موسى بن حمود قاضي ماكسين (١٠٧) مات بماكسين وكان اماما عالما من اصحاب الامام الشاشي

(١٠٨)رحمهما الله وولي ولده موضعه ، وفي الاربعاء ثالث عشر شهر ربيع الاول سار الامير والخاتون والجماعة الى ماردين . وفي تاسع عشرين شهر ربيع الاول من سنة ستين وخمسمائة ابتدي في نقض برج المرأة عند باب القصر ليجدد .

وفي شهر ربيع الاخر من السنة مات شمس الدين سيونج الحاجب بالموصل ، وبعد مدة حمل الى ماردين ودفن بها .

وفي ثاني عشر جمادى الاول ، وفي الثالث الاول من الليل احترق سوق باب المدينة ،ذوبة رابعة .

وفي جمادى الأول عزل جمال الدين الوزير بحصن كيفا نفسه عن الوزراة ، ولزم البيت والزاوية ، ورتب اخاه الأصيل في موضعه ، وولي الصفي يحيي بن عبد الواحد الاستيفاء بولاية فخر الدين جميعها .

وفي يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الأول وصل قطب الدين وشير باريك والعروس الى حصن كيفا ، وزين البلد ولقوهم احسن ملقى ، وجاء في دجلة زيادة عظيمة بحيث تفسخت قواعد الجسر بحصن كيفا ، وأقاموا الى الاثنين غرة جمادى الآخر ، وساروا جميعهم الى ماردين .

وفي غرة جمادى الآخر من السنة ابتدي في عمارة برج المرأة ، وكان نقضه في شهر ويوم واحد ، وفتح باب قلوفح من المدينة لأجل العمارة ونقل الآلة .

وفي جمادى سار قطب الدين الى جبل جور ، وعزل الوالي وقبضه .

وفيها وصل الخبر أن مجد الدين وعساكر الشام كسروا الأفرنج كسرة عظيمة ، ونهبوا نهبا عظيما ، وكان فتحا مشهودا .

وفي سادس رجب ، قبل العصر أمطرت ، وجاء على الكروم والبساتين بميافارقين من المطر مالا يوصف ، بحيث تلفت جميع الغلات من الفواكه وغيرها مع الكروم ، وحمل المد دوابا كثيرة ومواشي كانت ترعى ، وقلع الأشجار ، وكنس الأراضي ، وكان منه على الناس مضرة عظيمة ، وتلف ما يحصى .

وفي الاثنين رابع عشر رجب من سنة ستين وخمسمائة عبر الأمير والخاتون الى حامة وجبل جور ، وباتوا بقرية البازار ، وفي هذا اليوم عبر فخر الدين قرا ارسلان الى خرتبرت من حصن كيفا .

وفي الأربعاء سلخ رجب عند صلاة الصبح كانت زلزلة عظيمة بحيث جرى الماء من حنابص(١٠٩) ورأس العين وجميع الأعين طينا أحمر الى ضحى النهار ، وبعد ايام وصل الخبر أن أرزن كان(١١٠) وما حولها خربت من الزلزلة ، وكانت اول يوم من حزيران من السنة ، وخربت مواضعا جماعة من ناحية أرزن كان وما حولها .

وفي الخميس ثامن شعبان من السنة عاد الأمير من الحامة من جبل جور ونزل بالزبدية من ناحية الحيز ، وخرج اليه جمال الدولة ابن نيسان والجماعة من آمد .

وفي شهر شعبان من السنة وصل شمس الدين بن القرباشي الواعظ ، وجلس يوم الجمعة بميافارقين بعد العصر ، وكان له مجلسا عظيما مشهودا .

وفي الاثنين ثالث عشر رمضان فرغ من بناء برج المرأة من السور ، وكان مدة بنائه ثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوما .

وفي يوم الجمعة خامس عشر رمضان ابتدأ الزاهد ابو الحسن علي بن الطويل في بناء قاعدة من جسر الدمس .

وفي رابع عشرين شوال وصل الخبر انه ولد لقطب الدين بنت من جارية .

وفي سابع عشرين شوال من السنة عند الليل كان زلزلة عظيمة ، وكان ضحوه الغد أخرى أقل من الاولى .

وفي ليلة الجمعة تاسع عشر ذي القعدة سنة احدى وستين وخمسمائة توفي الشيخ شيخ الشيوخ ابو الحسن علي بن المحور ، رحمه الله عن ست وتسعين سنة لأنه كان مولده سنة ست وستين واربعمائة ، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة ، ودفن بالأزج على اجداده رحمهم الله ، وكنت مريضا ، ولم احضر الجنازة .

وفي ذي القعدة وصل الذفيس ابو طاهر بن السديد العارض بن الحديثي ناظرا على ديوان ميافارقين ، وبعد ايام وصل ابو سالم بن سكمان ، قبحه الله ، متوليا على اشراف الديوان .

وفي السبت ثاني المحرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة سرت الى حصن كيفا ، وأقمت اياما وعدت الى ميافارقين ، ووليت اشراف الوقف بميافارقين في حادي عشر المحرم من السنة .

وفي صفر من السنة مات الشيخ خلف الزاهد بأسعرد ، وصلي عليه بميافارقين ، وفيه مات الشيخ الزاهد بن الزاهد عمر بن الأخوة ، وكان زاهدا تقيا ، وصلى عليه بهاء الدين بميافارقين .

وفي العشر الثاني من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة دخل اسد الدين شيركوه الى مصر ومعه من العسكر ما لا يحد من الرجل والخيل ، ولقوا الافرنج ، ونازلوا الاسكندرية ، وأنفذ أهل مصر واحضروا الأفرنج وبذلوا لهم مالا عظيما لنصرتهم ، فحضروا ، وكان سلطان مصر شاور قد وصل الى

الشام لما خرج عليه الضرغام وقوي عليه ، وملك السلطنة ، وانهزم شاور ووصل الى دمشق واستنجد بنور الدين ، فسار معه أسد الدين ، فلما وصل الى مصر انهزم الضرغام ، وملك شاور الأمر ، فنفذ الى اسد الدين ان يرجع ، وحمل له مالا كثيرا ، فلم يفعل ، ومضى فنازل الاسكندرية ، فنفذ شاور وأحضر الافرنج ، واحاطوا بأسد الدين ، وجرى بينهم قتال كثير ، ثم إن صلاح الدين نفذ الى ملك الافرنج وقال له : اتخذ عندنا يدا ، وأطلق لنا الطريق في بلادك ، فقال ذلك لكم ، فسار أسد الدين و جماعته في بلاد الافرنج على الساحل الى دمشق فوصلها ومن كان معه من أصحابه .(١١١) .

وفي تاسع وعشرين شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين وخمسمائة وصل الأمير والخاتون والجماعة الى ميافارقين واقاموا بها .

وفي الجمعة سادس عشر شهر ربيع الآخر وصل القاضي صدر الدين بن القربة وبقي الى ليلة الأربعاء واشتد به ، ومات يوم الخميس ثاني عشرين شهر ربيع الآخر من السنة رحمه الله ورضي عنه ، ودفن في داره في الحجرة ، وعمل شمس الدين ابو الفتح بن طبرله العزاء والمجلس ، وحضرت الخاتون وغرمت من مالها شيئا كثيرا ، وكان له عزاء عظيم ، وكانت ولايته القضاء بميافارقين سنة ست وخمسين وخمسمائة ، فرحم الله ذلك الشخص وفي الأحد عاشر جمادى الأول من سنة اثنتين وستين وخمسمائة ولي القضاء القاضي بهاء الدين ابو طاهر بن تاج الدين بن ذباتة بميافارقين بسفارة امين الدين ورأي الخاتون ، واستبد له الأمر .

وفي ثامن عشر جمادى الأولى توفت زوجة الأمير سيف الدين شيرباريك .

وفي غرة جمادى الآخر سار الأمير والجماعة الى ماردين .

وفي عاشر شهر رمضان مات الشيخ مبارك الزاهد بآمد ، وصلي عليه بميافارقين .

وفي ثامن عشر شهر رمضان مات فخر الدين قرا ارسلان بن داود بخرتبرت ، وحمل الى حصن كيفا ، وعبر في بلد ميافارقين ، ودفن في التربة التي بنى بحصن كيفا .

وفي ليلة الاربعاء ثامن عشرين شوال كان زلزلة شديدة خربت بالشام مواضع كثيرة .

وفي آخر ذي العقدة احترق بدمشق سوق باب جيرون (١١٢) (واللبادين وباب الساعات) ودار سيف الدين وباب الجامع الشرقي ، وحضر اسد الدين وفتح باب الجامع وتكاثرت الناس وأطفىء الحريق بعد ان احترق شيئا كثيرا ، ونهب اكثر ما كان في تلك الناحية .

وفي شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وخمسمائة ولي وزارة الخليفة المستنجد بالله ببغداد ابن البلدي ، وكان ناظرا بواسط ، يلقب بشرف الدين ، وأظهر العدل والاحسان الى الناس ، وبعد مدة عزل قاضي القضاة ابن الثقفي عن القضاء ، ورتب العدل روح بن الحديثي بتولي القضاء

وفي جمادى سنة ثلاث وستين ولي امين الدين التونتاش الديوان والبلاد مع المؤيد ، واظهر العدل والاحسان ، وقام بالواجب فيما فوض اليه .

وفي حادي عشرين جمادى الآخر قبض المهذب منصور بن الحباب ، وأخذ جميع ماله ، وحبس مدة ، وانهزم بعدما ضمنه جماعة من اهل ماردين ، ومضى الى الرها ، ودخل أنطاكية ، وسار أكثر الضمان في طلبه الى حلب ، وكنت بها ، ولم يعد ، وبقي بعد

ذلك مدة ، وعاد الى دارا ، وأقام اياما ، وعاد الى ماردين فقبض وحبس ومات في الحبس .

وفي رجب سنة ثلاث وستين وصل نور الدين الى الرها ونازلها مدة واخذها من اولاد الأمير حسان ورتب فيها الشيخ اسماعيل الخازن واليا ، وعاد الى منبج فنازلها اياما وأخذها وسلمها الى ابن حسان الآخر وعاد الى حلب .

وبعد ايام أغارت الافرنج على نواحي حمص وأخذوا تركمان وعرب كانوا هناك

وفي أول رجب وصل الخبر ان عز الدين سلتق صاحب أرزن الروم توفي وولي ولده الملك محمد موضعه .

وفي منتصف شهر شعبان سرت من ميافارقين الى دمشق ، واجتزت بالرها ومنبج وحلب وحمص وحماه ، ووصلت الى دمشق سابع عشر رمضان ، ولقيت المولى كمال الدين قاضي القضاة ابن الشهرزوري حرس الله ظله ، ولقيت منه كل احسان.
وأقمت بدمشق الى حادي عشر ذي القعدة ، ورد الي النظر في أوقاف دمشق بظاهرها ، وأقمت بدمشق .

وفي ثالث ذي القعدة وصلني الخبر أن القاضي شرف القضاة أبا علي سعيد توفي في ثاني شوال ، وهو ابن البغل الآمدي رحمه الله ، وكان عالما فاضلا ، من أكبر بيوت ديار بكر .

وفي ثالث عشر شوال قبض الحاجب زكري وحبس بميافارقين ، وبقي مدة وأخرج من الحبس ، وسار الى الموصل وأقام في خدمة قطب الدين بن أتابك وفي خدمتهم الى الآن .

وفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة توفي ضياء الدين بن عبيد

بالموصل ، وكان نقيب العلويين ، وتولى ولده شهاب الدين موضعه .

وفي ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة رحلت الافرنج جميعها الى مصر ونازلوها منازلة عظيمة وضايقوها ، فنفذوا الى نور الدين واستغاثوا به ، فرحل من حلب ونفذ أسد الدين وجميع التركمان من الرها ، وأطرف الغزاة ، ووصل نور الدين الى دمشق ثامن عشرين صفر سنة أربع وستين وأقام بها ، وأنفق في الجند مالا عظيما ، ورحل أسد الدين شيركوه ومعه جماعة من الأمراء وولد أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ، وساروا الى مصر فوصلوا سابع عشرين شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة، وأقام بها ، ورحلت الافرنج ودخل الى القاهرة ، وبقي الى سابع عشر شهر ربيع الآخر، وقتل شاور و ملك مصر ، وحصلت تحت حكمه وأمره ، وبقي الى حادي عشر جمادى الأول من السنة ، وأكل سمكا عظيما ولبنا وأكثر من أكله ، ومات من يومه ، ووصل الخبر الى دمشق بموته رابع جمادى الآخر ، وولي صلاح الدين يوسف بن أخيه نجم الدين موضعه ، وهاشت عليه السودان بعد أيام وقتل منهم خلقا عظيما ، وأقام وهاشوا عليه مرارا عديدة ، وهو يظفر بهم ، ويقتل منهم خلقا كثيرا ونهب ما لايحصى

وفي سنة أربع وستين وخمسمائة خرج شهاب الدين ولد الأمير علي بن مالك يتصيد من قلعة جعبر فأسره قوم وحملوه الى نور الدين وبقي في أسره مدة وتسلم منه القلعة وأعطاه سروج (١١٣) اقطاعا وضياعا في بلد حلب وغيرها ، وحصل في خدمة نور الدين ، وترتب في القلعة الأمير علي أخو مجد الدين في سنة أربع وستين .

وولد لقطب الدين ولد ، وللصاحب ولد ذكر من جارية .

وفي سنة أربع وستين احترق جامع حلب ، وسوق حلب ، وبني احسن ماكان .

وفي سنة أربع وستين كان قد عقد جسر الدمس وبقي منه عينة واحدة وعقدت ، وعبر الناس عليه ، وبقي مدة وجاءت زيادة عظيمة وهدمت العينة الكبيرة وانقطع الجسر ، وخرب الجانب القبلي جميعه .

وفي سنة أربع وستين وخمسمائة وقع الخلف بين الصاحب نجم الدين وبين صاحب أرزن ، ووصل الى ميافارقين ، وجمع عساكر لاتحصى من الخيل والرجل ، وبقوا أياما ، ثم انه دخل تحت حكمه وصار في خدمته .

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة رحلت الافرنج جميعهم والملك الى ديار مصر ، فنازلوا دمياط وحاصروها وضيقوا عليها أياما وأخذوا من ديار مصر مواضع كثيرة ، وأقاموا على دمياط وأشرفت على الفتح ، فخرج صلاح الدين من قصره وأخوه شمس الدولة ، ومعهم جماعة من العساكر فاستداروا حول الافرنج وأخذوا عليهم الطرقات والمواضع بحيث لم يبق أحد من الافرنج يقدر ان يخرج من معسكره ، وبقوا اياما ، وأشرفوا على القبض ، وتقدم ملك الافرنج الى صلاح الدين يقول له : ان لي عندك وعند عمك يوم الاسكندرية يد ، واليوم أريد المكافأة فتفتح لي الطريق لأنصرف ، فقال صلاح الدين : ذلك لك ، ورحلوا عن طريقه ، فرحل الملك وعسكره جريدة ، ومضوا الى بلدهم ، ونهب جميع مابقي منهم من البرك والثقل والخيم والمراكب ، وماكان فيها ، وكان قبل ذلك بأيام قد وصلهم في البحر ثلاثة مراكب من ملك القسطنطينية فيها من الزاد والعلوفه والسلاح والخيم ماليس بقليل ، فنهب جميعه ، وغنموا غنيمة عظيمة ، وعادوا راجعين خائبين ،

وبقي صلاح الدين بمصر مدة ، وخرج عليه رجل يسمى مؤتمن الخلافة ، وكان خادما للخليفة ، وتبعه جماعة وكثير من السودان وقاتلوا قتالا شديدا ، وظفر بهم صلاح الدين ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، ونهب من مصر مالا يحصى وأخرج كل من كان بالقاهرة من أهل مصر وعسكر الخليفة وأنزلها الأتراك والأكراد بين عسكر صلاح الدين .

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة مات عز الدولة نصر بن نيسان بقلعة أكل .

وفي سنة أربع وستين مات بهاء الدين عمر بن الداية والي حلب ، وولي أخوه سابق الدين عثمان .

وفي رابع عشرين جمادى الآخر سنة خمس وستين سار نجم الدين أيوب ، أبو صلاح الدين الى مصر ، من دمشق ، بمرسوم نور الدين ، وسار معه خلق لايحصى من العسكر والرجال والنساء والأطفال الذين رجالهم بمصر ، وخرج في تجمل لايمكن أن يكون مثله ، وكان له بدمشق ثلاثة أهراءات من حنطة وشعير لا يعرف قدر ما فيها من كثرتها ، ففرقها جميعا على الفقراء والضعفاء و المساكين ، ولم يبع منها بدرهم فرد ، واستدان عليه مقدار عشرين ألف دينار حتى حمل مايحتاج اليه ، ولم ير أنه يبيع الغلة ، وكانت تفي بما أخذ من الدين ، وأكثر من ذلك ، وسار معه جميع أولاده ، ولم يبق بدمشق غير النساء والأطفال ، وبعد أيام وصل الخبر أنه وصل الى مصر سالما ، وأن صلاح الدين خرج فلقيه في الذقوب (وخرج العاضد لاستقباله)(١١٤)وكان بمصر يوما عظيما مشهودا ، كما ذكر الله سبحانه في كتابه في قصة يوسف عليه السلام وأبيه يعقوب :« ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين(١١٥)» ونزل نجم الدين بالقاهرة بدار تعرف باللؤلؤة واستقر بمصر هو وأولاده.

ومضى كل واحد منهم أقام بمدينة من مدائن ديار مصر ، وبعد أيام نفذ نجم الدين وولده صلاح الدين الى دمشق سبعة آلاف دينار

مصرية عينا الى الفقراء والضعفاء والعلماء وربط فيها الصوفية والمجاورين بجبل دمشق ، فتفرقت عليهم ، وكان كل من أنفذ له شيئا قد شد في صرة وختمت ، وكتب عليها اسم صاحبها ، فعند الوصول سلمت اليه واستقر بمصر .

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة مات عز الدين أبو بكر بن الداية بحلب ، وضاق صدر نور الدين لموته ولحقه من الحزن والكآبة ماليس بقليل .

وفي سنة ستين وخمسمائة مات العمادي صاحب بعلبك ، وكان أميرا كبيرا من مقدمي أمراء الشام ، وضاق صدر نور الدين لموته ، وولى أولاده موضعه ، وفيها نفذ نور الدين ليستحضر سابق الدين عثمان أخا مجد الدين من حلب ، وحصل أمير العسكر بالشام ، وولى أخيه شمس الدين علي واليا على ديوان حلب ، وجميع الأمور من القضاء والديوان لمحيي الدين ابي حامد ولد المولى كمال الدين دام ظله .

وفي سنة خمس وستين مات زين الدين علي كوجك بالموصل ، ووصل ولده الأصغر الى دمشق ، وهو علاء الدين الى خدمة نور الدين وأمه بانه الجيدية معه ، وبقي مدة ، وأعطاه نور الدين معيشة بدمشق ، ثم انه مرض ومات بدمشق ولحق أمه عليه مالا يوصف ، ودفن في تربة كانت لأسد الدين وأهله ،

وفي يوم الاثنين ثاني عشرين شوال من السنة كانت الزلزلة بالشام ودمشق ضحى نهار ، وأخربت أكثر بلد بعلبك ، ومات منهم خلق عظيم ، وانهدم أكثر سورها ، ووصل الخبر بعد ايام ان سور حلب انهدم اكثره ، وخرب من المدينة ماليس بقليل ، ومات تحت الردوم خلق لايحصى ، وانهدم البلد وناحية باب انطاكية وطرابلس ومواضع كثيرة من بلاد الاسماعيلية ، وطرف الساحل ، ولم يهلك بدمشق غير رجل واحد انهدم عليه شرافة من شرافات الجامع من

الشرق ، ولم يهدم بدمشق غير شرافات الجامع من الشرق والغرب وبعض الشمال ، وتواترت الزلازل وحصلت تحدث في اليوم والليلة مرة ومرتين ، ومازاد ، وخرج الناس أكثرهم الى ظاهر البلد والبساتين ، وأقاموا أياما وكنت اذ ذاك بدمشق .

وفي رجب سنة خمس وستين وخمسمائة عزل معين الدين عن ولاية ميافارقين ، وولي قيماز مملوك الصاحب .

وفيها مات عز الدولة أبو نصر بن نيسان بأكل ، وولي ولده أبو عمر موضعه .

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة، وصل أتابك ممدود صاحب الموصل وأولاده الى قلعة ماردين لزيارة الصاحب نجم الدين ، فانه كان مريضا وتعافى ، وصعدوا الى القلعة وأقاموا أياما ، وغرم عليهم من الضيافة وما يحتاج إليه ما ليس بقليل ، وتولى أمين الدين خدمته بنفسه وقام فيما احتيج اليه قياما مرضيا . وعمل مالم يقدر أحد أن يعمل بعضه ، وبقيوا اياما وخلع عليهم وعلى جميع من وصل معهم خلعا لاتحصى ، واعتمد لأمين الدين من الخدمة ماكان عجز عنه جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم .

وفي شهر ربيع الأول سنة ست وستين وصل الخبر الى دمشق ، ثم ان في صفر رسم صلاح الدين ونجم الدين الخطيب بمصر ، وهو شمس الدين أبو أحمد بن أبي المضاء الوزير النظام الذي كان بدمشق أيام معين الدين أن يخطب ويصلي على الصحابة على منابر مصر ، فخطب وصلى على الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، وكان يوما عظيما مشهودا ، ولحق أهل مصر من ذلك الحزن ماليس بقليل ، وبعد مدة صلى على العباس بعد الصحابة في الخطبة ، وكان هذا شمس الدين بن الوزير مقيما بدمشق ، فلما مضى نجم الدين سار معه في صحبته ، فلما

وصل الى مصر ولي النظر في الوقوف في جميع مصر ، وبقي مدة ، وولي الخطابة ، وهو الى الآن بمصر .

وفي شهر شوال سنة ست وستين توفي أتابك ممدود ، أخو نور الدين بالموصل وولي الأمر ولده سيف الدين الغازي وعبد المسيح الخادم متولي الولاية ، فانه ولي الموصل بعد زين الدين ، وبعد ايام سار نور الدين فوصل الى حران وأخذها ورتب فيها الأمير ابراهيم ولد أخيه أميران ، وسار فملك الخابور موضعا موضعا ، ووصل الى نصيبين فتسلمها من العلائي ، وأقام بها مدة ، ثم سار الى سنجار فنازلها أياما وملكها وأقام بها أياما ، ثم نزل الى الموصل وراسل فخر الدين عبد المسيح مدة ، ثم أظهر القوة والجلد والاحتباس ، ثم بعد ايام خرج الى نور الدين سيف الدين ابن أخيه وأخوته وعبد المسيح ، ودخل الى الموصل وتملكها ، وأقام بها مدة ، ورتب سعد الدين كمشتكين الخادم في القلعة ، وانفصل وعاد الى الشام وسلم البلاد جميعها الى ولد أخيه الأمير سيف الدين .

وفي تاسع ربيع الآخر سنة ست وخمسين وخمسمائة ، مات الخليفة المستنجد أبو المظفر يوسف بن المقتفي ببغداد ، وولي ولده أبو محمد الحسن الخلافة ، وبويع له يوم مات أبوه ، وتلقب بالمستضيء بأمر الله ، وأظهر العدل والاحسان وأطلق من في السجون وفعل الخير ، ورد املاك الناس التي اغتصبت في أيام أبيه ، ورد مالا عظيما على الناس ممن كان صادره أبوه ، وفعل كل خير ، واستوزر استاذ الدار ابن رئيس الرؤساء ، ويلقب عضد الدين ، وكانت ولايته أحد عشر سنة وشهر وسبعة أيام ، وقبض على الوزير ابن البلدي وقطع يده وأذفه ، وكان قطع ابن البلدي يد ابن السيدي ، وكان ابن عمته استاذ الدار ، وقطع انف عمه استاذ الدار ، فلما ولي قبضه وقطع يده وأذفه في سوق بغداد ، وبقي مدة ومات وولي أخوه استاذ الدار موضعه .

وقد قيل ان المستنجد كان دخل الى الحمام و خرج وثب عليه استاذ الدار ورماه تحته وخذقه ، وولي بعده الموضع ، فانه كان اساء الى الناس وظلمهم واخذ اموالهم وقتل خلقا عظيما من الامراء والكبار ، فاستوزر ابن البلدي ، واجحف بالناس ، وكان قدهم مرارا بقبض استاذ الدار ، وفي ايامه عزل ابن الثقفي عن قضاء القضاة والموضع الى اليوم(١١٦) لم يليه احد ، ويذوب فيه العدل روح بن الحديثي

وفي اوائل سنة ست وستين اغارت الافرنج على بلد الشام ، وحملت أهل قرية نخل (١١٧) باسرهم ،وما كان فيها من النساء والاطفال وجميع ما كان لهم ، ولم يفلت منهم الا الاقل ، وبعد ايام نزلوا على حصن يسمى عراق الامير(١١٨) واخذوه ، وبقوا مدة ،ثم صالحهم كمال الدين على اخرابه ، وقسم بلده على المسلمين والافرنج .

وفي العشرين من شهر ربيع الاخر سنة ست وستين سار الى مصر من دمشق قافلة لايمكن ان يجتمع مثلها في الدنيا ، وسارت بنت شمس الدولة نجم الدين واولاده واولاد اخوته وجماعتهم ونساؤهم واتباعهم ونساء الحاشية باسرهم ، ومن اهل دمشق خلق عظيم لايحصى بحيث قيل انه كان في القفل نيف وسبعين الف جمل ، ولقد رأيت ذلك اليوم عند مسير القافلة محارة على جمل وفيها ثمانية انفس ، ثلاث نسوة وخمسة اولاد صغار ، ووصلوا سالمين الى الذقوب ، وخرج صلاح الدين اليهم فلقيهم وسار بهم الى مصر سالمين ، ولقد حكي انه كان في يوم دخولهم الى مصر يوما عظيما .

ووصل الخبر الى دمشق ان صلاح الدين جمع العسكر في شهر ربيع الاول وعرضه ، فاعتد في اربعة عشر الف تركي وكردي ، ولم يبق من اجناد مصر احد .

وفي ثالث عشر جمادى الاول سنة ست وستين كان الخروج من دمشق ، وسرت فاجتزت بحمص وحماه وحلب ومنبج وحران ورأس

العين وماردين ، ووصلت الى ميافارقين يوم الاحد منتصف جمادى الاخر ، واقمت بميافارقين .

وفي جمادى الاخر نازل الصاحب نجم الدين والعساكر مدينة دارا وحاصرها وجمع عليها خلقا عظيما ، ثم وصل صمصام الدين ودخل عليه فرحل عنها ، وترك من العسكر جماعة منهم بكتمر رشيدي ، وصعد الصاحب نجم الدين الى ماردين .

وفي شهر رجب مات سيف الدين باريك ممدود بن علي بن الب بارق بن ارتق ، وكان اكبر من بقي من الارتقية بميافارقين ، ودفن في القبة تحت المقابر برأس بستان الخردلي .

وفي شوال من السنة توفي شمس الدين بن الواسط بن حسن البغدادي بآمد وصلى عليه بهاء الدين بميافارقين .

وفي ذي القعدة توفي اخو سيف الدين صاحب الموصل ولد اتابك ، وسارت والدته زمرد خاتون الى مكة في منتصف شوال ، وفي يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة ست وستين توفيت الخاتون زينب بنت الامير احمد بن سكمان زوجة الصاحب نجم الدين بماردين ، وكانت خرجت قبل ذلك بايام الى الصور لتسير الى اخلاط لزيارة اخيها شاه ارمن فمرضت وعادت الى ماردين وبقيت الى ذلك اليوم ، وماتت قبل العصر ، ودفنت بالدار بقلعة ماردين ، وسار بهاء الدين والجماعة الى ماردين الى العزاء فلقوا الامير في قرديس فعزوه ، فرسم لهم ان يسيروا الى التربة ، وكان امين الدين مقيما هناك ، فمضوا اليه وعزوه ، واقاموا اياما وعادوا الى ميافارقين ، ووصل الامير الى ميافارقين واقام بها اياما .

وفي خامس ذي الحجة من السنة عزل بهاء الدين عن قضاء ميافارقين ، وولي القاضي محمد بن أبي يعلى ، وكانت هذه ولاية ثالثة لقضاء ميافارقين ، وأقام الأمير والجماعة أياما وساروا الى

ماردين ، وأقاموا مدة وبقوا الى أول شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وخمسمائة ، ووصل الأمير والجماعة الى ميافارقين وأقاموا بها ، ومرض قايماز والوالي مدة ، ثم قصد الأمير والجماعة - إلا قايماز - والوالي صحبتهم الى ماردين في سلخ شهر ربيع الاخر ، واقاموا بماردين ، ثم كانت فتنة جرت بباب المدينة من الرعاع والغوغاء ، وكان تخلف في ولاية ميافارقين علي ، وكان صاحب قايماز وغلامه ، ووصل قايماز مريضا في خامس جمادى الاخر ، وتوفي في سحر يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاخرة ، ببرج الملك وحمل الى الجامع ، وصلى عليه ، ودفن في دار سراج الدولة بن غش ،

وفي السبت ثاني عشرين منه وصل عز الدين داود من ماردين وأقام بالقصر من قبل الصاحب ، واقام الى ثالث رجب من السنة ، ووصل في رمضان السلاحي من ماردين ، وجلس في القصر ، وسار امير داود الى ماردين (١١٩)

والاطفال وبقي على ذلك ، فلما دخل شمس الدولة طلبه فانهزم من بين يديه ، وفتح بلادا جماعة وطلب قبر المهدي فملكه وهدم القبة ، واخذ جميع ما كان فيها من الاموال والجواهر والالات ، فيقال انه اخذ منها ستمائة حمل ذهب وفضة وجواهر وغيرها واخذ عظام المهدي الخارجي فاحرقها وذراها في الهواء ، وسار ومعه خلق عظيم في طلبه ، فكان كلما وصل الى موضع انهزم الى موضع من بين يديه ، وفتح ذلك الموضع ونهب ما كان فيه ، وامن الناس ، وسار خلفه الى الموضع الذي يكون فيه ، وفتح بلاد اليمن الى ان وصل الحاج الى بلادنا اخبروا انه افتتح اكثر بلاد اليمن ، ولم يبق من بلاد اليمن الا القليل ، وحلف شمس الدولة ان لايبرح من اليمن حتى يدرك ابن المهدي ويقتله ويذري عظامه - بعد حرقها - في الريح ، كما فعل بأبيه .

وكان قد بنى جسرا على دجلة ، وبقي فيه عينتان ، خرج الشيخ

الزاهد ابن الطويل لاتمام ذلك ، فبنى برجا وعقد عينتين اخيرتين ، ومرض ودخل الى المدينة ، وجاءت زيادة كثيرة ، وهدمت ثلاث عينات اخربتها الزيادة وانقطع الجسر ، وتوفي الشيخ الزاهد بميافارقين في عشرين من شهر ربيع للأول سنة سبعين وخمسمائة رحمه الله ، ودفن بالمدرسة بميافارقين رضي الله عنه ، ومضى ولده الى ماردين وتولى موضع والده في نظر الاوقاف ، وعاد الى الدمس ورم رؤوس تلك القواعد ، ورفع بعض الالات والاخشاب ، الذي بقي ودخل المدينة يوم الخميس غره جمادى الاول من السنة .

وفي ربيع الاخر توفي شهاب الدين محمد بن ارسلان بن ارتق ، وتولى ولده معين الدين موضعه على البيرة وكانت بيد أبيه .

وفي اخر شهر ربيع الاخر سنة سبعين وخمسمائة وصل الخبر ان صلاح الدين يوسف بن ايوب وصل في أول الشهر من مصر الى دمشق على طريق الذقوب ، فنزل في داريا اياما ، وخرج اليه ابن المقدم وجمال الدولة ريحان ولقياه ، ودخل الى دمشق ، ونزل في دار العقيقي (١٢٠) وكانت دار ابيه نجم الدين ، وازال المكوس والضمانات ، وما كان ازاله نور الدين رحمه الله ورضي الله عنه ، واذكر اعادتها غاية الانكار ، وقال من عارض ازالتها اهدرت دمه ، فاحسن الى اهل دمشق غاية الاحسان ، ووصل اليه صاحب بصرى وصلخد وبانياس وبعلبك ، ووصل الى خدمته فخر الدين بن الزعفراني ، وكان عند موت نور الدين بحماه ، فلما مات نور الدين طلبه اهل حماه ونهبوا داره وقتلوا جماعة من اصحابه ، فطلب بعرين(١٢١) فملكها وتحصن بها وهادن الافرنج وعصى على الملك الصالح في بعرين ، وبقي فيها ، واقام بها ، فلما وصل صلاح الدين ، وصل الى خدمته ، وبعد ايام وصل اسد الدين محمد بن اسد الدين من الرحبة الى خدمته ، ومعه ثلاثة الاف فارس ، وامره على ان يخيم على نهر الذبك بين حمص ودمشق ، وخرج الى حمص وحماه ، فملك حماه ، وفي عزمه الوصول الى حلب وترتيب امر الملك الصالح وكونه في خدمته وبين يديه .

وفي اخر شهر ربيع الاول من السنة وصل جماعة من بغداد ، واخبروا ان زعيم الدين بن جعفر نائب الوزارة توفي ببغداد وقبض على املاكه ، واعادها الخليفة على اولاده في يومهم ، وناب في الوزارة صاحب ديوان الانشاء شمس الدين ابو الفرج بن سديد الدولة بن الانباري ، وكان في شهر ربيع الاول من السنة مات قاضي القضاة روح بن احمد الحديثي ببغداد ، ومات ولده بعده ، وولي قاضي القضاة علي بن احمد بن الدامغاني ، وكان له مدة معزولا من اول ايام المستنجد بالله ، وبقي معزولا في مدرسته هذه المدة الى الان ، واعيد الى موضعه .

وفي هذه السنة عملت جارية الخليفة بنفشا على دجلة جسرا آخر ، وغرمت عليه مالا عظيما ، ونفذت احضرت من حاني سلسلة عظيمة بمقدار الف وخمسمائة دينار ، وانحدروا الى بغداد ونصبوا الجسر تحت تاج الخلافة ، ونصبوا الجسر العتيق عند باب درب ناجي عند مدرسة الموفق ، وحصل لاهل بغداد راحة كبيرة .

وبعد موت زعيم الدين بمدة يسيرة عزم الخليفة المستضيء على اعادة الوزير عضد الدين رئيس الرؤساء الى الوزارة ، وكره الامير قطب الدين قايماز ذلك ، واجتمع به وقال : يامولانا انت سنتك العدل وفعل الخير والاحسان الى الناس والانصاف ودولتك فلا تحمل وزارة هذا الرجل ، وهو رجل مقدام حسود ، بطاش ، ولايبقي على احد ، ولايصلح لدولتك ، فقال : لابد منه فخرج من عنده ، وجمع العسكر واغلق الابواب ببغداد ، واغلق ابواب دار الخليفة ، وحوصرت الدار ، وماج الناس ، واستقر الحال الى ان اخرج الوزير من داره بدار الخليفة الى داره بالحريم الطاهري من الجانب الغربي ، وخرج وبقي هناك ، وخلع الخليفة على قطب الدين قايماز ، وطيب قلبه ، واستقر في نيابة الوزارة شمس الدين بن سديد الدولة بن الانباري ، وولي ولده مؤيد الدين بن سديد الدولة ابو منصور موضعه بديوان الانشاء ، وزاد احترامه عند الخليفة ، وبقي الوزير في الحريم مقيما فحصل يدخل اليه جماعة من البذوية(١٢٢)

والعيارين ويترددون اليه ، فنفذ الخليفة وقطب الدين فاستحضراه من الحريم ، ورداه الى داره بدار الخليفة ورتبوا عليه من يجلس على بابه ، وبقي الى قطب الدين وشمس الدين النيابة وظهير الدين ابن العطار في المخزن .

وفي شهر ربيع الاول من السنة قصد الكرج أنه وحاصروها اياما واخذوها من الامير شانهشاه اخي شداد ونهبوها ونهبوا كل ما كان فيها ، ورتبوا فيها واليا من قبلهم ، وحصلت من ولاية الكرج .

وفي هذه السنة وصل الخبر ان ملك القسطنطينة توفي الى لعنة الله وأليم عذابه ، وتملك موضعه ولده خذله الله وأهلكه .

وفي آخر شهر ربيع الاول من سنة سبعين وخمسمائة وصل الى ميافارقين شاهنشاه اخو السلطان قليج ارسلان من الشام ، ونزل بالقبة التي لجده السلطان قرا ارسلان واقام يوما واحدا ، وسار الى اخلاط قاصدا الى شمس الدين اتابك الدكز .

وفي جمادى الاول مات القاضي علم الدين بن الطالقاني ، وهو ابو علي قاضي نصيبين ، وولي قضاء نصيبين والخابور ، وحران والرها ، وجميع تلك البلاد نظام الدين ولد شهاب الدين بن بهاء الدين الشهر زوري ، واستناب في نصيبين النظام ولد الرئيس ابي الفضل .

وفي هذه السنة ظهر كتاب حكم من بعض قرايا الموصل كان نفذ الى نصيبين ، واثبت من سنين ، ثم اثبت بعد ذلك بالموصل فظهر انه مزور اصلا ، وقبض والي الموصل على جماعة من الشهود والقاضي ، فوزنوا له مقدار عشرين الف دينار .

وفي جمادى الاول سنة سبعين وخمسمائة وصل صلاح الدين يوسف الى حلب ونازلها وضايقها وشدد على اهل حلب ، فقاتلوا قتالا شديدا ، وبقي عليها مدة ، ثم رحل عنها ، وسار وقصد حمص

ونازلها اياما . وفي رجب هاش اهل حلب على ابن عصرون ونهبوا داره وهدموا بعض المدرسة ، ومضى فاختفى عند الياروقية ، ونهبوا ما كان بقي من دور بني العجمي ، وقتل في تلك الايام جماعة كثيرة .

وفي الثلاثاء العشرين من جمادى الاول وصل الخبر الى ميافارقين ان في يوم الاحد ثامن عشر الشهر امر قطب الدين فقتل امين الدين الخادم التونتاش بماردين بين يديه في الدار بامر من سعد الدين بن الامير عميد الدين ، فضربه بخنجره في كتفه ، وضربه الحاجب الاخر بخنجر في جوفه ، فوثب الامير فضربه بسيف فرماه ، واحضروا المطبخي فقطع رأسه ، ورمى رأسه وخلفه تحت القلعة عند الباب ، ونفذوا في الحال والوقت بدر الدين أبي منصور وسعد الدين ومعهم رأس أمين الدولة وخاتم الامير الى سميساط والموزر والسبق فوصلوا وتسلموا الجميع ولم يعص عليهم موضع ، وحصلت البلاد جميعها بحكم قطب الدين ، واخذوا من امين الدين من الاموال والدواب والعدد والملبوس ماليس بالقليل ، واستدعى الشيخ ابو القاسم بن مهاجر الموصلي وكان مريضا ، فسألوه عن ماله فقال من أخذ كمران ؟ فاحضروا من أخذ الكمران ، فأحضروه وفتق وأخرجوا منه جوهر كثير وتذكرة فيها جميع ما يملك من مال ودار وملبوس وآلة وودائع وسمى فيها الموضع ، وماله عند ابن مهاجر مودوع بالموصل ، فأحضروا الحاجب اسماعيل بن أردم وكتب ابن مهاجر معه كتابا إلى داره وأخوته بالموصل ، وأن يسلم اليهم جميع ما كان عنده مودوعا ، فمضى إلى الموصل وتسلم جميع ما كان مكتوبا بخطه وأحضره إلى ماردين ، واعطي ولاية سميساط ، وسار فجلس فيها واليا ، واخذوا جميع ما كان له في جميع الاماكن وكان شيئا لاينحصر ولايعد ، وبقي الامير بماورين مدة ،ثم خرج فقصد ميافارقين ، فوصل إليها يوم سادس عشر جمادى الآخر ، ودخل قطب الدين قبل صلاة الصبح وجلس في القصر وكان وصله الخبر بوفاة ولد كان له في أخلاط عند خاله شاه أرمن، فجلس في العزاء وصعد اليه أهل البلد من القضاة والشهود والأعيان وحضر المقرئون والشعراء وأنشدوا وقرأوا وتكلم القاضي

بهاء الدين وبقي يفعل ذلك ثلاثة أيام، ودخل الصاحب نجم الدين ظهر ذلك اليوم والخاتون وجماعة العسكر والحاشية، وبعد ذلك بثلاثة أيام نهض الأمير من العزاء وأقاموا بميافارقين .

وفي جمادي الآخر راسل عماد الدين ولد اتابك قطب الدين صلاح الدين ، فوعده بالجميل ، فعصا على أخيه سيف الدين غازي في سنجار ووقع الخلاف بينهما ، فخرج سيف الدين ونازل سنجار وحاصرها بعسكر كثير . ووصل عز الدين أخو سيف الدين الى ميافارقين وخرج قطب الدين والجماعة فلقوه ، ودخل الى المدينة ونزل في دار ابن موسك ، فلقي خاله الصاحب نجم الدين ، ولقي أباه وخلع عليه وعلى اصحابه ، وجردوا له عسكرا وسار جمال الدين صاحب حاني معه الى سنجار ونزلوا عليها واشتد القتال ، وبقوا عليها والقتال دائر ، كل يوم يقتل من الطرفين جماعة .

وفي رجب وصل الخبر ان ولد علي الدين بن دولت شاه بن الدانشمند عاد الى ملطية ، وكان قد ملكها بعد أبيه ، وبقي مدة ، ثم ان الاجناد هاشوا عليه وأخرجوه ورتبوا موضعه أخ له صغير ، فخرج منها ، وبقي يدور من موضع الى موضع الى الآن ، ثم انه دخل اليها في زي بعض المكارية وبين يديه جمل ، فدخل واختفى في دار هناك خراب الى الليل ، ثم خرج وقصد القلعة ، وكان له جماعة فصعدوه فهجم ودخل على أخيه وهو في الفراش نائم ، فقتله وملك الموضع ، واصبح فسمع الناس ، فصعدوا اليه واستقر بها وملكها ، وحصل له جميع ما كان لأبيه ، وتزوج بزوجة اخيه بنت فخر الدين .

ووصل الخبر في رجب ان في اوائل هذه السنة قصد البهلوان ولد اتابك الدكز خوزستان والاهواز ، ولقي الامير شملة ، وعملوا مصافا عظيما ، فقتل فيه شمله ، وانهزم العسكر والملك الذي كان مع شمله ، ولحق اخاه السلطان ارسلان شاه ودخل عليه واستجاربه ، فرده الى بلاده واقره عليها ، وحصلت خوزستان

والاهواز له ، وحصل تحت طاعة أخيه السلطان ارسلان شاه بن طغريل بن محمد .

واقام الامير واصحابه بميافارقين ووصل الخبر ان اتابك الدكز قصد الكرج فاقتتلوا قتالا عظيما وانهزم المسلمون وقتل جماعة واسر جماعة ، ونهب من المسلمين شيئا كثيرا ، وبقي أتابك مدة ثم جمع جمعا كثيرا وقصدهم فالتقوا في صحراء أو بين ، فما اختلط بعضهم ببعض ، ولا جرى بينهم قتال ، وعادت الكرج ولم يظفروا بشيء ، ودخل أتابك الدكز الى مدينة ذقجوان هو وجميع العساكر ونفذ الى صاحب اخلاط وجماعة الامراء ليحضروا ويلقاهم والله يخذ لهم وهم الكرج .

وفي عشرين جمادى الآخر خلع الامير على القاضي بهاء الدين جبة وعمامة وطيلسان ونزل الى الجامع ، ونزل الجماعة بين يديه من الاجناد وغيرهم .

وفي شعبان خلع على جماعة من اصحابه واعطى كل منهم بوقا وعلما ، منهم الامير سعد الدين واقطع جملين والموزر لزين الحجاب أبو منصور بن العميد ، واقطع الموزر شمس الدين أخو هلدري القرطقي اقطاعا كثيرا للمهذب بن البابولي ، واعطى امارة الاكراد والازدلق ببلاد ماردين وشبختان واقام بميافارقين .

وفي رجب رحل صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادي عن حلب بعد قتال شديد ، فنفذ اهل حلب الى الافرنج واستنجدوهم عليه ، واطلقوا من حلب جماعة كثيرة من الاقماص والرويس والبطارقة كل ذلك لينجدوهم على صلاح الدين ، فوصلوا الى صلاح الدين الى بلد حماه ، فعلم بهم ، فانفرج عن المخيم ، ثم جعل اكثر عسكره كمينا ، ورتب عسكره في المضيق الذي خرجوا منه عند حصن الاكراد ، ثم خرج باقي العسكر وناوشوهم ساعة ، ثم انهزموا بين ايديهم فطمعوا فيهم ولحقوهم ونهبوا بعض المخيم ، فخرج الكمين

عليهم فقتل خلقا لايحصى واسروا جماعة كثيرة وعاد اكثرهم منهزمين ، فطلبوا الطريق الذي جاء وافيه ، فاخذوهم الذين قعدوا في المضيق بحيث لايفلت احد منهم البته الا فني الجميع قتلا واسرا وغنم صلاح الدين وعسكره منهم غنيمة عظيمة ، واقام صلاح الدين بحماه ، وقصد حمص ، فنزل على القلعة مدة وحاصرها وضايقها وتسلمها في رجب ، وحصلت حمص وحماه له ، واجتمعت عساكر حلب وماحولها جميعها بحلب ، وحضر صمصام الدين وعز الدين بن اتابك من الموصل ومعهما عسكرا كثيرا وراسلوا صلاح الدين يوسف وقالوا : لابد من المصاف ، فقال الى ان يخرج شهر رمضان ، فما الى القتال في شهر رمضان سبيل فبقوا على ذلك مدة ، وكان سيف الدين غازي قد احضر من نصيبين رأسا من رؤوس البذوية وامر بصلبه فصلب ، فهاشت البذوية ، وخرجوا من بلد الموصل ونصيبين وبلدها ، وساروا طالبين بالعدة الى صلاح الدين ، واجتازوا بالخابور ، فتبعهم خلق كثير من الخابور وطرف الفرات ، وعبروا فلما وصلوا الى قرية تسمى باب بزاعة على باب حلب ، وجميع من فيها اسماعيلية ، وبين البذوية والاسماعيلية عداوة عظيمة ، فلما اشرفوا بذلك الجمع صاح جميعهم وكبروا فقتلوا منهم ونهبوا بعض مالهم ، واختفى منهم جماعة في مغاير لهم .

واتفق ان جماع من التركمان سمعوا بعبور البذوية فتبعوهم طمعا فيهم ، فلما وصلوا الى الباب ورأوا ماجرى شدوا جميعهم وصاحوا وصاحت البذوية على اهل الباب ، ونهبوا وسبوا منهم جماعة ، ودخلوا في المغائر ، فدخذوا عليهم وجلسوا على ابواب المغائر ، وكل من خرج منهم قتل ، وتلف اكثرهم في المغائر ، وسبوا النساء والاطفال واجتمع اليهم خلق كثير من منبج وبزاعة وجميع الذي حولهم الى باب حلب ، وقتلوا ونهبوا وسبوا منهم بحيث لم يبق منهم احد ، ومر الجميع تحت السيف والقتل والسبي ، ونهب منهم مالا يحصى ، وبقيت تلك الصحراء مدة لايستطيع احد يعبر من بين تلك الجيف ، ولقد حدثني جماعة من الواردين من الشام انهم كانوا

يعبرون وهم قتلى على كل ستين تسعين في موضع ، بعضهم فوق بعض مثل الغنم ، وجرى عليهم مالم يجر على احد .

وبقي صلاح الدين على العاصي حوالي حماه ، واهل حلب كل يوم يذفذون اليه ويراسلونه وقالوا : لابد من المصاف ، فقال : الى ان يخرج رمضان ، فقالوا لانصبر ولابد من العناق ، ثم انهم رحلوا وقصدوه وهو نازل على العاصي على باب حماه ، فالتقوا يوم الاحد تاسع عشرين رمضان سنة سبعين وخمسمائة ، وكان عيد النصارى ، فلما التقوا شد عليهم صلاح الدين واصحابه وقصدوهم فانهزموا أقبح هزيمة ، فصعد صلاح الدين على رابيه ونادى : زنهار (١٢٣)من يضرب بسيف او يرمي بسهم او يقتل احد فخبز نور الدين عليه حرام ، فحصلوا يضربون الناس على اكتافهم بالرماح ويرموهم ويأخذون خيلهم وسلاحهم وأسلابهم ، ونهب العسكر نهبا عظيما ، واسروا جماعة كثيرة ، فأحضرهم صلاح الدين بين يديه وخلع عليهم واطلقهم ، وعاد الناس الى حلب منهزمين مسلوبين ، ودخل عز الدين اتابك الى حلب في خمسة نفر ، وبات صمصام الدين على باب حلب ، وسار فعبر الفرات ، ولقد حدثني رجل رآه عبر الفرات ومعه اربعة نفر لاغير ، فعبر وسار ولحقه بعد ذلك اصحابه الى دارا ، وبعد ايام سار عز الدين الى الموصل وعبر الى اخيه سيف الدين وهو على سنجار يحاصرها ، وبقي صلاح الدين اياما بموضعه ، ثم رحل ونزل على تل السلطان(١٢٤) والعساكر معه جميعها واقام الامير قطب الدين بميافارقين والجماعة الى يوم الجمعة ثالث عشرين رمضان ، واطلق المكس والعشر والمؤونة التي كانت على باب المدينة ، من سائر الاشياء ، ونزل الخدم الى الجامع وقت الصلاة ، ودعا الخطيب على المنبر ، وضج الناس بالدعاء ، وكان يوما مشهودا ، فالله سبحانه يطيل عمره ، ويديم دولته ، ويلهمه العدل في رعيته وفعل الخير بمحمد وآله ، وفرح الناس بذلك غاية الفرح ، وزينوا البلد ثلاثة ايام ، ورسم وكتب ذلك على باب المدينة اسقاطا ثابتا ، وحصلت التجار ، واهل البلد يدخلون بأحمالهم إلى بيوتهم وقماشهم الى حوانيتهم لايعارضهم في ذلك

معارض ، وأقام قطب الدين بميافارقين إلى يوم الأحد رابع شوال ، وسار إلى أخلاط وصحبتهم المؤيد والمهذب وجماعة من العسكر ، وأقام الصاحب نجم الدين بميافارقين حادي عشر شوال ، وسار إلى ماردين ومعه الخاتون والحجاب وباقي العسكر والحاشية والجماعة ، ولم يبق بميافارقين احد ، ووصلوا الى ماردين ، وبقي قطب الدين بأخلاط الى اوائل ذي القعدة ، وسار من أخلاط وعبر جور وحاني ، ولقي جمال الدين وعبرا لبازاربلد ميافارقين الى ماردين ، ودخل المؤيد والمهذب الى ميافارقين ، وبقوا اياما ، وساروا الى ماردين .

وكان سيف الدين غازي منازلا سنجار هذه المدة كلها ، وبقي عليها إلى أوائل شوال ، ثم انه صالح أخاه عماد الدين ، واقطعه موضعا من بلد الخابور مجاور بلد سنجار ، ورحل عنها ، وعاد جمال الدين والعسكر الى ميافارقين ، وعبر الى حاني ، وكان اضطرب في سور ميافارقين مواضع ، فابتدي في نقض البدنة التي فوق اليذبوع يوم الاثنين ثالث شعبان ، فنقضت إلى الأرض ظاهرا وباطنا ، وتم النقض في ثاني شوال يوم السبت من السنة وابتدي في العمارة يوم الاثنين خامس شوال بسم الله اتمامه ، وتم البناء في تلك البدنة في شهور احدى وسبعين وخمسمائة .

وبقي صلاح الدين مقيما على تل السلطان والعساكر معه وراسل سعد الدين الخادم وحلف له ، وحلف لجماعة العسكرية ولجماعة من اهل حلب في شوال واصطلحا على ذلك ، ولم يدخل الى حلب ، ولقي الملك الصالح وقبل الارض بين يديه ، وقال : انا المملوك والعبد ، انما جئت الى خدمتك ، واقام اياما ، واطلق بذو الداية ، واستقر الحال بينهم ان من حماه وحمص الى دمشق لصلاح الدين تحت يده، وهو تحت طاعة الملك الصالح ، وحلب وباقي المواضع تحت حكم سعد الدين والاكابر في خدمة الملك الصالح ، وحلفوا على ذلك الى اربع سنين الى ان يبلغ الملك الصالح ، وامره بالبلاد بما يراه .

وخرج صلاح الدين وقصد دمشق فدخلها ، وراسل الافرنج وخرج فنزل على رأس الماء (١٢٥) من بلد حوران ، وهو الان مقيم هناك .

وفي ذي القعدة عزم ذور الدين قراأرسلان على العبور من حصن كيفا الى خرتبرت ، فجفل بلد آمد منه وخافوا ، ولم يبق في الضياع احد ، فلقد عبرت في ذي القعدة ببلد آمد سائرا الى الحامة (١٢٦) بجرموك ومابالبلد احد والضياع فارغة ، فوصلت الى الحامة واقمت بها اياما ، وسرت عنها إلى حاني فوصلتها يوم الخميس سابع عشرين ذي القعدة ، وعبرت بدير الصليب(١٢٧) ذلك اليوم وأوائل عسكر فخر الدين قد عبرت ، وعبر يوم الجمعة ولم يؤذ أحدا لا ببلد آمد ولامن غيرها ، وسرت يوم السبت تاسع عشرين الى ميافارقين ، فوصلت يوم الاحد غرة ذو الحجة ، واقمت بميافارقين ثلاثة ايام .

ووصل الخبر من العراق أن قطب الدين قايماز صاحب الخليفة المستضيء بالله ، خرج على الخليفة ببغداد ، وجمع العساكر واغلق بغداد وابواب دار الخليفة اياما وحاصرها وضج الناس من ذلك ، وصعد الخليفة فوق التاج وصاح بالناس ، فاجتمع خلق لايحصى من اهل بغداد فانهزم قطب الدين ، وخرج من بغداد ومعه عسكر عظيم ، وقصد الحلة ، حلة بني مزيد ، وكانت اقطاعه واقام بها ، وبقي الخليفة ببغداد ونهب العوام دارقايماز وماكان فيها ، وخربت الى الارض ، ومضى الى الحلة ، ونهب بعض الحاج ، واذكر ذلك ، وسار الحاج الى مكة ، وبعد ايام نفذ اليه الخليفة ، وامره بالخروج عن العراق ، فخرج من الحلة ، وسار الى الانبار ، وعبر الى الرحبة فوصلها ، واقام بها ، ونفذ الى دمشق يستأذن صلاح الدين وروده عليه ، فلم يجبه الى ذلك ، وكتب اليه يقول : تقف موضعك حتى انفذ الى الخليفة واسأله واصلح عليك وتعود الى خدمته ، فبقي بالرحبة مدة ومرض هو واصحابه مرضا شديدا ، ومات من اصحابه ومماليكه جماعة كثيرة بالرحبة ، وبقي إلى ذي الحجة ، وسار من الرحبة الى الموصل ، فوصل الى سنجار وهو مريض مدنف ، وسار منها الى الموصل ومات بعلته ذلك اليوم بتل يعفر (١٢٨) ،وحمل

تابوته الى الموصل ،فخرج سيف الدين والجماعة فلقوه ، ودفن بالموصل ، ووصل بعده خيله وبركه الى سنجار فنهبه جميعه عماد الدين صاحب سنجار ، واخذ كل ماكان معه ، ومات بعده من اصحابه جماعة بالموصل كثيرة ، ووصل الخبر الى الخليفة ، فبقي اياما .

وفي المحرم سنة احدى وسبعين وخمسمائة عاد الوزير أبو الفرج عضد الدولة بن رئيس الرؤساء الى الوزارة ببغداد ، وعاد الأمر اليه ، واستولى على الدولة ، وقبض على عز الدين الخادم ، وعلى بهاء الدين صندل ، وكان استاذ الدعر ، وقبض الخادم الزائلي على جماعة من الخدم ، واستقر في الوزارة ، وظهير الدين بن العطار في المخزن ، وكل منهما يضادد صاحبه ، وبقي الامر كذلك الى شهر ربيع الاول من السنة ، ومرض الوزير مرضا شديدا ، وعارضه فالج ، وانقطع في داره وحصل كل الامر الى ابن العطار ، ودست الوزارة بغير وزير وكان في ذي الحجة سنة سبعين انهزم ظهير المقرب شاه ملك وزير صاحب ارزن وبدليس من صاحبه ، واجتاز بحصن كيفا ، وعبر في بلد الطور (١٢٩)الى نصيبين ، وسار الى اربل ، واقام عند مجاهد الدين قايماز الخادم صاحبها ، وكان اخذ من ولاية ارزن وغيرها مالا عظيما ، ورتب أمين الدين نصر بن جبريل في الديوان مستوفيا بولاية ارزن وبدليس .

وفي المحرم سنة احدى وسبعين قصد اتابك الدكز ، والسلطان ارسلان شاه ، وشاه ارمن صاحب اخلاط ، وعساكر ديار بكر ، والبلهوان وولد الدكز ، ومعه عساكر اذربيجان وهمذان في خلق لايحصى ، ولاية الكرج ، واجتمعوا بباب نقجوان واخذوا بين ايديهم بلد كنجة ، وساروا في خلق لايحصى الى ان جاوزوا صحراء لوري ودومانيس ،وخرجوا الى اتشهر وهي مدينة نحل كاعاك وصحراء ترابالبث ، فنهبوا تلك الولاية ، واخربوا الضياع وسبوا مواشيها وحرقوا الزروع ، ولم يبقوا في تلك النواحي عماره ، وجلس الملك في غيضة ...(١٣٠) وتحصن بها وما اليه طريق ، ولم يقدم ان يخرج

اليهم ، فبقوا اياما وعادوا اجمع .... والسلطان بدوين ، وعاد شاه ارمن وعساكر ديار بكر الى اخلاط ، ووصلوا في العشر من ربيع الاول ، ودخلوا الى اخلاط ، وزينوا البلد وكان يوما مشهودا واظهر اهل اخلاط من الاموال والزينة مالم ير مثله ببلد اخر ، وبقيت الزينة ثلاثة ايام ، وكنت في هذه الايام هناك ، ولما عاد شاه ارمن من المعسكر نفذ وزيره الموفق بن دشتق واميرا آخر رسلا الى نقجوان ، وبقوا عند السلطان والبلهوان واتابك اياما ، ومرض الموفق اياما وتوفي في نقجوان ، وحمل تابوته الى شهاب الحراني الصوفي واصحابه الى خلاط فوصل يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الاول سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وخرج كل في خلاط ، وكان يوما عظيما ، ولقوه ، ولقد شاهدت من اسف شاه ارمن واصحابه عليه مالم اقدر اصفه ، تردد الى التربة سبعة ايام غدوة وعشية وغلقت اسواق اخلاط ثلاثة ايام ، وبطلت النوبة (١٣١) يومين وطيب قلوب اولاده .

ورتب ولده مجد الدين محمد في الديوان ، وأخاه شمس الدين أبا الفضل امير حاجب والأمر اليه ، واستقروا على ذلك ، وبعد أيام وصل الخبر الى خلاط أن زوجة أتابك الدكز ووالدة السلطان أرسلان شاه توفت بنقجوان ، وجلس شاه ارمن بأخلاط في العزاء ، وغلقت الأسواق يومين .

كان في شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة عبر بميافارقين الملك شاهنشاه أخو السلطان قليج أرسلان بن مسعود منهزما من أخيه ، وصعد الى أخلاط وقد ذكرنا ذلك أولا ، وسار من أخلاط الى أتابك الدكز ، وبقي عنده مدة ، وسار الى ملك الكرج ، فأكرمه وأحسن اليه ، وبقي عنده مدة ، وسار الى مدينة نجوم ، وركب منها في البحر الى القسطنطينية ، ودخل على ملك الروم واستجار به ، فأنزله وأكرمه ، ونفذ الى أخيه أن يرد عليه معيشته ، ولم يجبه الى ذلك ، وترددت المراسلة بينه وبين السلطان ، فلم يجبه الى

اي شيء مما طلب ، واتفق ان الأمير ذا الذون بن الدانشمند لما أخذ السلطان بلاد عمه ياغي سيان ، ودخل الى ملك الروم استجار به ، فنفذ اليه رسالة وسأله أن يرد عليه بعض بلاد عمه ويكون في خدمته ، فلم يفعل ، وترددت الرسل بينهما في حق المذكورين مدة ، فلم يجبه الى شيء مما طلب ، فجمع عساكر الروم وخلقا لايحصى ، وخرج ومعه أخو السلطان وذا الذون ، وعبر البحر واعتد في سبعمائة ألف فارس ومعهم فوق سبعين ألف عجلة ، وخرجوا الى ولاية الروم قاطع البحر وأقاموا هناك ، وبني مدينتين عظيمتين فجمع السلطان العساكر والتركمان ، وحصلوا يطرحون على جانب العسكر فينهبون ويقتلون ، ولايعلم الجانب الآخر ، فقتلوا منهم خلقا عظيما لايحصى ، ونهب منهم مالا لايوصف ،وخربت الولاية التي اليهم مجاور الاسلام ، وبنى الملك المدينتين وأخربهما وغرم من الأموال شيئا لايحصى ، وسبوا من تلك الولاية مقدار مائة ألف مملوك بحيث وصل السبي الى هذه البلاد والشام ونزل الى الموصل وبغداد مالا حد له ، وبقيت العساكر والملك على ذلك الى شعبان ، فدخل الملك الى البحر ، وبقيت العساكر وأخو السلطان وذا الذون في هذه البلاد بلاد الملك من هذا جانب البحر ، وعسكر السلطان والتركمان كل يوم ينهب ويسبي موضعا وموضعا ، فبقوا على ذلك ولم يجر بينهم مصاف الى غاية شهر رمضان .

وكان في شهر ربيع الأول من هذه السنة صالح صلاح الدين يوسف بن نجم الدين الأيوبي الأفرنج وأطلق لهم جملة من الأسارى ، وأعطاهم عشرة آلاف دينار واشترط عليهم حمل غلات ديار مصر الى حلب والشام ، ويحمل الى دمشق من بلاد الأفرنج لأنه ظهر في هذه السنة ببلاد حوران من الفار مالم يسمع بمثله ، فقطع أصل الغلات وأخرب الأرض وأهلك ماكان فيها من الزرع ، بحيث كان الفارس يقف في حفر الفار وخرابه الى صدر الفرس ، وتلفت جميع الغلات ، فصالح الأفرنج على حمل الغلات

مـن ديار مصر الى دمشـــق ، وحضر جمـــاعة مـــن ديار مصر وأخبروا ••• بمصر يســوى ســـبعة أحمـــال محملة بـــدينار مصري ، واثنا عشر حمـلا ••• وخمسـة أحمـال عدس وحمص وباقلاء بدينار ، وهذا شيء لم يسمع بمثله ••• مـن الزمـان ••• فجعل الثمان عشرة على ذلك •••

وفي شهر ••• ومكه عساكره ••• في الشام وبقي ••• ايامـا بحران ••• ونفذ الى ابن فخر الدين يسـتنجدهما فنفـذ نور الدين ابن ••• الحاجب اسد الدين ومعه عسكره ، وسار من ••• صالح ولد نور الدين رحمه الله ، وسار الى حلب و ..(١٣٢) .